# قبر طولون

اوحت فاجعة الاسطول الفرنسي في طولون ، التي تجلت فيها البطولة الفرنسية باروع مظهر وابعد مدى ، الى الشاعر الكبير الاستاذ الياس ابو شبكة ، ابياتاً بليغة اعرب فيها عن عاطفته الصادقة وفي الوقت نفسه عن اعجاب العالم قاطبة . وقد آثرنا ان نزين بها صدر هذا الجزء من « الاديب » .

يا فرنسا ، لكِ هذي الاحرُفُ : فقد المالُ وعاش الشرفْ

منذ « بافي » (١) وهي في كلِّ فم وعلى كلِّ حسام هدفُ

حطمُ الدنيا لحينٍ تقتني والى حينٍ يعيش الترفْ

يؤخذ الحظّ ويشرى مثلما تؤخذ البهمُ ويشرى العلفُ

انما الاخلاقُ حالٌ ثابتٌ وهي امّا ذهبٌ أو خزفُ

ان تهُنْ ما ارتفع اليسرُ بها أو تسُدْ ما أسقطتها الكُلفُ

نسلك الباسل في آدابهِ من سماء الحقِّ ظلّ مورِف

تركةُ الاجداد في أعراقهِ ما بأبنائكِ عُقَّ السلف

روحُ دوغي ترويَن في كلّ فتى من بنيك الصيد صوتٌ يهتف

يا فرنسا ، للوفا أنتِ يدٌ وعلى العدل دمٌ لا ينشف

جنّ فيكِ اليوم خطبٌ رائع أندى في يدهِ أم سرف

أنكرَ الباغي ، وما أجهلهُ ، أنّ للمظلوم يوماً يأزف

واذا مستشهدٌ في طرف واذا في طرف معترف

منذرٌ بالويل في استشهاده نقمة الاسلافِ هذا الخلف

ما بطولون ضحايا غيّبت انّ في طولون قبراً يزحف

دمكِ الثائر في جدرانهِ فكرةٌ تشهى وروحٌ تعصف

يا لها ملحمة فجرتِها فهي في كل سماء طُرف

كل مرسليازَ ما أنشدها عبقريّ منكِ ليست تعزف

يا فرنسا ، ما رأت عين الوفا مثل ما أعطى بنوكِ الانف

عشتِ للمجد وعاشت للعلى شيمةٌ تبنيك في ما تتلف

ليست القوّة جيشاً بائداً انما القوّة هذا الشرف

الياس ابو شبكه

---

« ١ » Pavie مدينة ايطالية غلب فيها شرلكان ، ملك اسبانيا ، فرنسيس الاول ، ملك فرنسا ، عام ١٥٢٥ ، فكتب هذا الاخير الى امه يقول : « لقد خسرنا كل شيء الا الشرف . »

# بارك الله في عمر

اهدى الاستاذ عمر فاخوري نسخة من كتابه (لا هوادة) – منشورات « الاديب » – الى شاعر العصر خليل بك مطران فكان من ذلك فرصة موفقة لاتحاف الشعر العربي برائعة من روائع المنظوم . وشفع شاعرنا الجليل قصيدته العصماء بكتاب رقيق الى المؤلف قال حفظه الله :

« بعد التحية والشوق والاكرام – لا ادري ما ابقى الدهر مني غير النية الصادقة والوفاء . وهذه النية وهذا الوفاء قد اوحيا اليّ ابياتاً امليتها على كاتبي ، وابعث بها على استحياء ، ولا ارجو لها قبولاً الا بقدر ما تغتفر للضعف . اثابك الله اكبر اثابة فانت بها جدير ، ومدّ في ايامك لتزداد بك مناهل الضاد واهلها . »

القاهرة في ٨ نوفمبر ١٩٤٢

خليل مطران

حقّ لبنـان ان فخر   بارك الله في عمر
هو والوحي ســاهر   والدجى تبعث الفكر
جلّ مـا يبتغيه من   طول نجواه والسهر
ايّ سر به يضيء   من الليل ما اعتكر
فيرى الرأي حيـنما   خفي الورد والصدر

*

فطنة دون سؤلهـا   ليس للغيب مـدخر
وضمـير مثقف   ينصر الحق مـا قدر
بأسه يصـدع الجمود   ويقضي على الخور
وبيـان لسحره   في النهى بالغ الاثر
فيه ما فيـه من حلى   باهرات ومن غرر
ويسوق العظـات في   فكهات من السير
آية تــلو آية   في لطـاف من السور
ان غاهـا لبنان لم   تتنكر لهـا مضر

*

ايهـا الكاتب الذي   ينفس الشعر مـا نثر
المبين البـليغ في   وصف ما بان واستتر
نحن واحسرتا جهلنـا   وفي جهلنـا الغَرر
فقـل الفصل في الامـ   ور ودع لغو من هذر
عـله ان يكون في   هـذه الحرب مزدجر
علم الشرق ما الحياة   وقوّم على قدر
فيم اعيى وفيم شـا   خ وما مسه الكبر

*

مـا لقوم ، وهمهم   بلغة العيش ، من خطر
اي شعب اصاب عـزاً ولم يركب الخطر
اي شـأن لامة   وليتْ امرهـا أخر
ان حرية الحيـاة   لاسمى منى البشر

*

الك شكري وما انطوى منـه   اضعاف ما انتشر
لو جلا اللفظ ما احتـوى   نبـع الود وانفجر
وبدت في مسيله   روضة كلهـا زهر

خليل مطران

# مناجـــــــاة

بقلم ميخائيل نعيمه

●

ليل بهيم ، وسماء غضبى ، وارض في وجوم .

وفي الرأس سباق افكار لا تنام ،

وفي القلب حفيف اشواق وارفة ، ندية ،

وفي العين رسوم اشباح تتساوم على بني الانسان وتتصافق ،

وفي الاذن جلبة من صلوات وعربدات ، وزفرات وقهقهات ، وانين شيوخ ، وانتحاب اطفال ، ودمدمة براكين ، وهدير بحور كثيرة ،

وعلى الشفاه دبيب حروف ومقاطع وكلمات تنتظم وتنتثر تسابيح خافتة حيية لاسمك القدوس يا من تعالى عن الاسماء والتسبيح .

يا ناشر الليل من كبد النهار ، ومضرم النهار من محاجر الليل ،

طال ليل نشرته فوق ارض حسيرة عشواء ، طال وادلهم وتغضن وترهل ، ولكنه ما شاخ بعد ولا ابيض فوداه . وبنو الارض يدأبون في غضونه ويكدحون كما تدأب المناجذ وتكدح في غياهب التراب .

يكدحون ويدأبون الا انهم حيث يبدأون ينتهون .

يزرعون ويحصدون وفي الاهراء يخزنون ، ولكنهم ابداً جياع وابداً معوزون .

من خشاشة الارض يأكلون ، ومن مآقي المزن يشربون ، ولكنهم في غصة دائمة بما يأكلون وبما يشربون .

يتزاوجون ويتناسلون وابداً عن سند وعون يبحثون .

يتخاطبون ويتكاتبون فما يتعارفون ولا يتفاهمون .

يتنازعون على اردان الليل واذياله ، فيمزقون لحومهم باظفارهم ، ويسحنون عظامهم باضراسهم ، وبغير نتف من جلابيب ليلهم لا يظفرون .

من اين للارض هذا القرمز في وجنتيها ؟

اهو الدم المسفوح من نحر هابيل ؟ ام شهوة الدم المشبوبة في قلب قايين ؟ .

اما يزال دم هابيل سائحاً في عروق الارض وصارخاً : « انا الدم المهراق لا لذنب الا لانني رضيت فارتضيت » ؟

وشهوة قايين التي لا ترضي ولا ترتضي ، ويؤلمها اذا ما غيرها ارضي فارتضى ، اما تنفك تستعر في احشاء الارض ؟

امحتوم على الحبالى الا يحبلن بهابيل دون قايين ؟ وعلى الوالدات والمرضعات الا يلدن ويرضعن سوى الذبائح والذباحين ؟

فيا ويل الحبالى والوالدات والمرضعات ! يا ويلهن يغسلن اوزار ابنائهن الذابحين بدماء ابنائهن المذبوحين ، فلا الاوزار بمغسولة ، ولا الدماء بمحقونة .

حتى م تحترق الارض بشهوة قايين فلا يطفئها دم يتفجر من اوداجها ، ودمع ينهل من احداقها ؟

والى م هذا الليل يغشي على ابصار بني الارض فيلتقي في طياته الاخ اخاه فينكره ويبغضه ويرديه ثم يغسل يديه من دمه ويقول : « ما انا بحارس لأخي » ؟

ومتى تنحسر الظلمة عن ابصار بني الارض فيعرف الاخ اخاه ، ويعرف انه حارس لاخيه ومطالب براحته وسلامته وحياته اذا ما شاء هو الآخر ان يتذوق الراحة والسلامة والحياة ؟

متى يتهلهل ليل كثيف نشرته فوق ارض حسيرة عشواء فيرفع اليك كل ابن انثى قلبه الملفوح ويهتف عالياً :

« اهلني يا مالك النهار والليل ان اعرف اخي واكون له حارساً نشيطاً ، يقظاً ، اميناً ومحباً كيما يكف دمه في اذني عن الصراخ ، ودمي عن الغليان والفوران » ؟

الى م ، الى م هذا الليل ، يا ناشر الليل من كبد النهار ، ومضرم النهار من محاجر الليل ؟

يا واحداً لا يعد ، ويا ألفاً لا تمثل ، ويا لا تصور ،

هاهم الذين برأتهم صورة لك ومثالا ، فنفخت في صدورهم نفساً من صدرك ، واودعتهم روحاً من روحك ، لا يغريهم من عيشهم شيء مثلما يغريهم اللهو بالاعداد ، وتمثيل البدايات ، وتصوير النهايات . فهم ابداً يجمعون اعداداً الى اعداد ، ويطرحون اعداداً من اعداد ، ويضربون اعداداً في اعداد ، ويقسمون اعداداً على اعداد . ونتيجة ما يجمعون ويطرحون ، وما يضربون ويقسمون اعداد فوق اعداد فوق اعداد ، تهرى بترديدها ألسنتهم ، وتضيق بها خلايا ادمغتهم ، وتتورم من الحملقة اليها اجفانهم ، وتتكسر على ركامها اقلامهم ، وتنشق من ضغطها سجلاتهم .

يعدون الثواني والساعات ، والسنين والقرون ، ويحصون من ولد ومن مات .

يعدون اجرام السماء ، ويحصون كل دورة من دوراتها ولفتة

أقتاتها ، ويحسبون اوزانها وابعادها .

يعدّون نبات الارض وحيوانها ،وطيرها وحشراتها ،ومعادنها وطبقاتها ، وما فيها من جبال وبحار ، وجداول وانهار ، وسهول وما على سطحها من مدن ودساكر ومزارع ،وما في المدن والدساكر والمزارع من بشر وبهائم ومن ايدٍ تعمل ولا تنعم ، وايد تنعم ولا تعمل .يعدّون في الصوت نبراته ، وفي القلب انباضه ، وفي الجسم عظامه وعضلاته .

يعدّون ارزاقهم من ثابت ومنقول ، ولهم دفاتر يقيّدون فيها ما يملكون من مال وما يدينون ويستدينون . وهم عليها احرص من غلة على حبّة ، ومن عنكبوت على ذبابة . تلك هي دفاتر الخزائن والجيوب . اما ان تكون لهم دفاتر للارواح والقلوب يحاسبون فيها نفوسهم عن كل كلمة جارحة ، ونية غدّارة ، وفكرة قتالة ،ومحبة حبسوها ، ويد امسكوها ، ونعمة حجبوها عمن هم في حاجة اليها، فما فكّروا في ذلك ولا يفكرون .

يعدّون ، ويعدّون ، ويعدّون ،واليك يا واحداً لا يعـدّ لا يهتدون .ما هم الذين لفظتهم حروفاً حية في اسمك الحيّ الذي لا يلفظ .ما يفتأون يصلون الحروف بالحروف ، والمقاطع بالمقاطع ، ويزوجون الكلمات من الكلمات ويؤلفون منها الاحاديث والاساطير والاسفار . فلا تكلّ لهم شفاه ، ولا تحرن لهم اقلام ، ولا تتخدر منهم انامل . وكلماتهم اكثر ما تكون دخاناً لابصارهم ،وفخاخاً لاقدامهم ، وسموماً لدمائهم ،ومناخز تقض عليهم مضاجعهم وتعبث باحلامهم . والبريء منها ما كان كاليعسوب : لا عسل في فمه ولا ابرة في دبره .

اما الكلمة التي تضمد جرحا ، وتفك قيداً ، وتمزق غشاوة ، والكلمـة التي تجمع ولا تفرق ، وتجبر ولا تكسر ، وتفتح ولا تغلق ، والكلمة التي تشفع ولا تصفع ، وتصفح ولا تنبح ، وتعين ولا تدين فما اندرها ! وأندر منها كلمة في يائها الف وفي الفها ياء — طليقة من احابيل البدايات والنهايات حيث بنوك يتخبطون وعنك يا الفاً هي الياء ، ويا ياء هي الالف يصدفون .

اعداد فوق اعداد ، وحروف ومقاطع وكلمات بعد حروف ومقاطع وكلماتٍ . وكلها سواد في سواد ، وظلمات طي ظلمات .

فالى مَ ، الى مَ هذا الليل يا واحداً لا يعد ، ويا الفاً لا تمثل ، ويا ياء لا تصور ؟

يا قلباً يضيف ولا يضاف ، ويا روحاً ينير ولا ينار ،

ما للضيوف المتـألبين حول موائدك يتدافعون ويتلاطمون ويتناهشون ؟ وموائدك فسيحة الارجاء ، مثقلة باعجب الخيرات واثمن البركات من كل ما يؤكل ويشرب . اصنافها لا تعرف العد ولا النفاد . وقد ضمختها السماء باطيب العطور ، وزينتها الارض بابهج الالوان والاشكال .

ما للشباع من ضيوفك يتجشأون ، وتخماً في امعائهم يشكون ، ولكنهم لا ينصرفون لحظة عن المائدة ولحظة لا يقياون ، وللجياع مجالا لا يفسحون ؟ ألعلهم يخشون على كنوز خيراتك النفاد ، وعلى فوّارات نعمك النضوب ، وعلى يدك المبسوطة الانقباض ؟ لذلك يخزنون من يومهم السمين لغدهم الاعجف ؟

واذا ما خيرك يوماً نفد ، ونعمتك نضبت ، ويدك انقبضت فما ينفعهم كل ما يخزنون ؟ وهل من غد ليوم تحبس فيه قراك عن المقترين ؟ما للجياع من ضيوفك يقدمون رجلا ويؤخرون اخرى ، ويلاوصون ، ويتغامزون ، وبلعابهم يتلمظون ؟

ما لهم كالغرباء ، او كالبرص ، بين ضيوفك ، يدورون من حول موائدك وبغير الكسارة والسقاطة لا يظفرون؟

ما للبياض في عيونهم يصطبغ بحمرة الشفق ، وللدماء في عروقهم تتحمّ ، وللعضلات في سواعدهم تتكمش ؟

ما للضيوف ، شباعهم وجياعهم ، لا يعرفون للضيافة حشمة ، ولا للمضيف وقاراً ، فيتقاتلون على قصاعه المليئة ابداً بكل خير واياه بالخير لا يذكرون ؟

متى يشبع الجياع من جودك ويمتلىء الشباع من وجودك فلا يتدافعون ولا يتلاطمون ولا يتناهشون ؟

الى م ، الى م هذا الليل يا قلباً يضيف ولا يضاف ، ويا روحا ينير ولا ينار ؟

ليل ، وسماء غضبى ، وارض في وجوم .
وفي الرأس بريق فكر واحد وهاج ،
وفي القلب بشارة فجر يولد ،
وفي العين خيالات مجلببة بالنور ،
وفي الاذن اجواق من عوالم لاتبصر ترنم صامتة ترنيمة الانعتاق ،
وعلى الشفاه تسابيح عالية لاسمك القدوس يا ناشر الليـل من كبد النهار ، ومضرم النهار من محاجر الليل ،
يا واحداً لا يعدّ ، ويا ألفاً لا تمثل ، ويا ياء لا تصوّر ،
يا قلباً يضيف ولا يضاف ، ويا روحاً ينير ولا ينار .

ميخائيل نعيمه

# الا ليالينا

يا حلو ما في العيون　　حلو كهذا الجنى
يضفي عليك الفتون　　ملء المنى
سحّت عليك السما　　من سحرها كل ما
فات جمال البشرْ
فالناس يا ملهمي　　سفرٌ وأنت السوَرْ

يا ملهمي　　يا خير ما في دمي
لولاك مات الخيال　　ومات حتى الجمال
على فمي
يهفو من اسمكْ　　أريج جسمكْ
ولا يشم البشرْ
فالناس يا مسكري　　عشبٌ وأنتَ الزهَرْ

يا مسكري　　أبعد هواكَ الطري
تعالَ نمضي ، فهل　　في الناس الا الدويّ
فالناس امّا غبيّ　　أو عابثٌ مفترِ
قوتي على مرشفيكْ　　والنورُ في مقلتيكْ
ولا يفيق البشرْ
فالناس يا مرشدي　　ليلٌ وأنتَ القمر

ألغاب ، واقينا　　حيّ ينادينا
أنوارهُ لم تزلْ　　سكرانة فينا
انا الهوى والامل　　والشعر خمرٌ وقوتْ
يا حب كلّ يموتْ　　الا ليالينا
مانحن في العاشقين　　كسيرة الاولين
يا خير ما في السيرْ
الناس ماء وطينْ　　وانت روح البشرْ

الياس ابو شبكة

# الى متسولة صهباء الشعر

« لبودلير »

نشرت مجلة « الاديب » في الجزء الماضي ترجمة لقصيدة « بودلير » هذه فما كاد الشاعر يوسف غصوب يطلع عليها حتى اتحفنا بالترجمة الجديدة التالية :

من خلال ثوبك الممزق
ايتها الفتاة البيضاء الصهباء
يبدو الفقر
والجمال

بجسمك الفتي الضني
على ما انتشر فيه من كلف ونمش
عذوبة وطراوة
في عيني
انا الشاعر المسكين

حذاؤك الخشبي الثقيل
تخطرين به
امرح وارشق
من ربة من ربات الاقاصيص
في خفها المخملي

فلو انك
بدلاً من هذه الاسمال القصيرة
ترتدين من خلع البلاط
خلعةً فاخرة
تجرّر بخشخشة وحفيف
من وراء قدميك
ذيولها السابغة

ولو انك
بدلاً من هذه الجوارب المثقبة
تحملين على ساقك
خنجراً من الذهب
يلتمع في اعين المتهتكين

ولو ان ربائط الرداء
تتراخى عقدها
فتكشف لا غرائنا
عن ناهديك الجميلين
المتألقين
تألق العيون

ولو ان ذراعيك
اذا أريد خلع ثيابك
قانعان بدل

وتدفعان بغنج
الاصابع الوقاح

لتهافتت عليك
وتوالت
اللآلي الكريمة
والقصائد الرائعة
من العشاق الذين تأسرين

وتسابق المتشاعرون
لاهدائك
البواكير من نظمهم
وازدحموا تحت السلالم
لرؤية خفك

وتربص الكثيرون من فتيان الامراء
المولعين باغتنام الفرص
والعديدون من العظماء والشعراء
للتمتع
باستراق النظر
الى خدرك الغري

اذن لكنت تحصين من القبل
في مضاجعك
اكثر مما تحصين فيها من الزنابق
ولكنت تخضعين لسلطانك
غير واحد من الملوك

على انك
تروحين الآن
مفتشة عن مسن هرم
يتوسد عتبة حانة
من الحانات
في بعض ملتقى الطرق

وترمقين من طرف خفي
الخسيس من الحلى
غير اني
على خساستها
لا استطيع وا آسفاه
اهداءك شيئاً منها

فاذهبي اذن
لا زينة ولا طيب
لا ماس ولا لآلى
ألا عريك النحيل
يا جميلتي !

يوسف غصوب



قسم من مدينة جبيل التقطت صورتها من الجو



# لبنـــــــان

بقلم فرنك اي. برود

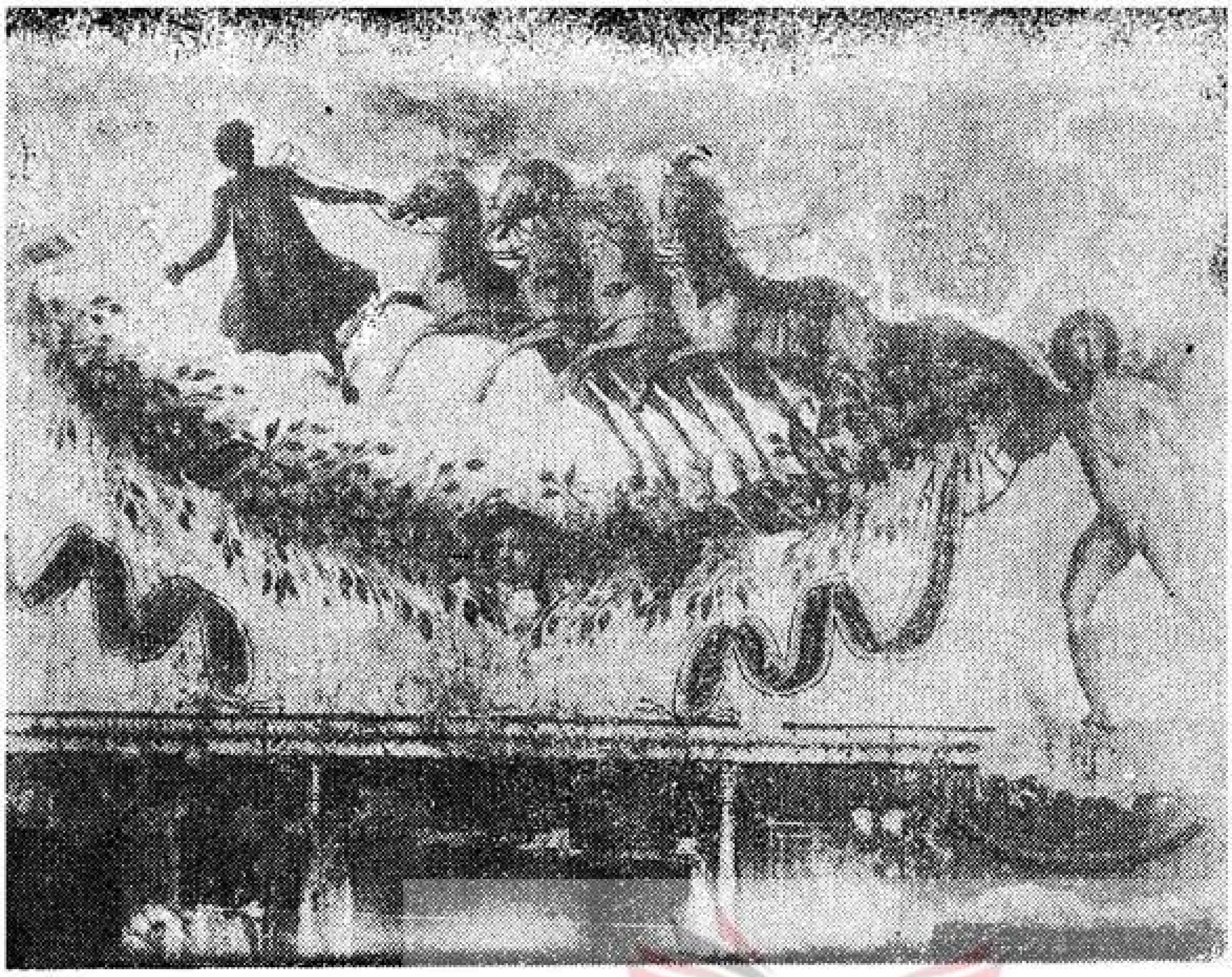
عالم اثري اميركي واستاذ في جامعة اميركية كبرى ، قضى سنين عديدة في سوريا ثم عاد اليها بعد غياب خمس سنوات في بعثة رسمية ، وها هو يبين ما شاهده من التقدم في غضون غيابه في هذا المقال المترجم عن اللغة الانكليزية .

●

في يوم من ايام صيف ١٩٣٧ كان فلاح يشتغل في حقله بالقرب من صور فرأى فجوة في الارض ، فدخل فيهـا فاذا هو في وسط غرفة منحوتة في قلب الصخر ، جدرانها مغطاة برسوم ما زالت على جدتها . ولم تكن هذه الغرفة سوى مـدفن قديم لاحدى الاسر اللبنانية في عهد الرومان اي منذ ١٨٠٠ سنة ، زخرفتـه يد فنان ورسمت فيه صوراً عن الحياة بعد الموت كما تخيلها اللبناني في ذلك العهد . وفي اليوم السابع والعشرين من ايار ( مايو ) ١٩٤٢ كان هذا المدفن بتمامه ، كما اكتشف ، معروضاً لمن يريد ان يشاهده من ابناء لبنان الحديث في المتحف الجديد الذي تم تشييده في هذه الحرب واحتفل بافتتاحه في ذلك اليوم .

وفي السنة ١٩٤١ بينما كان احد الجنود يشتغل في تحصين احد الاماكن عثر على بلاطـة من الرخام عليها اشكال منقوشة فابلغ السلطة المختصة خبرها فارسلت السلطة عمالها فنقبوا حولها ورفعوها من الارض فاذا هي ناووس قديم لاحد الرجال العظـام في العصور الخوالي ، وقد نقشت جوانبه بصور النائحين ونحت غطاؤه على شكل مضجع لميت ، واليوم يمكن اي زائر كان ان يقف امام هذا الناووس نفسه ويراه في المتحف اللبناني .

ان كاتب هذا المقال غادر الشرق الادنى في السنة ١٩٣٩ ولم يتمكن الا حديثاً من العودة اليه . ومع ان هذه السنوات الخمس لم يسبق لها نظير في تاريخ هذه البلاد بما انطوى فيها من شدائد ، فقد تمكن اللبنانيون خلالهـا من تشييد متحف فخم ومن اطراد اعمال التنقيب عن آثار السلف وجمعها لدرسها والاحتفاظ بها ، وتمت حفريات جبيـل وصيدا ودرست آثار صور ، وأجريت الترميمات اللازمة لصيانة خرائب بعلبك وقلعة الشقيف وقصر بيت الدين .



«خطيفة» بروسبرين

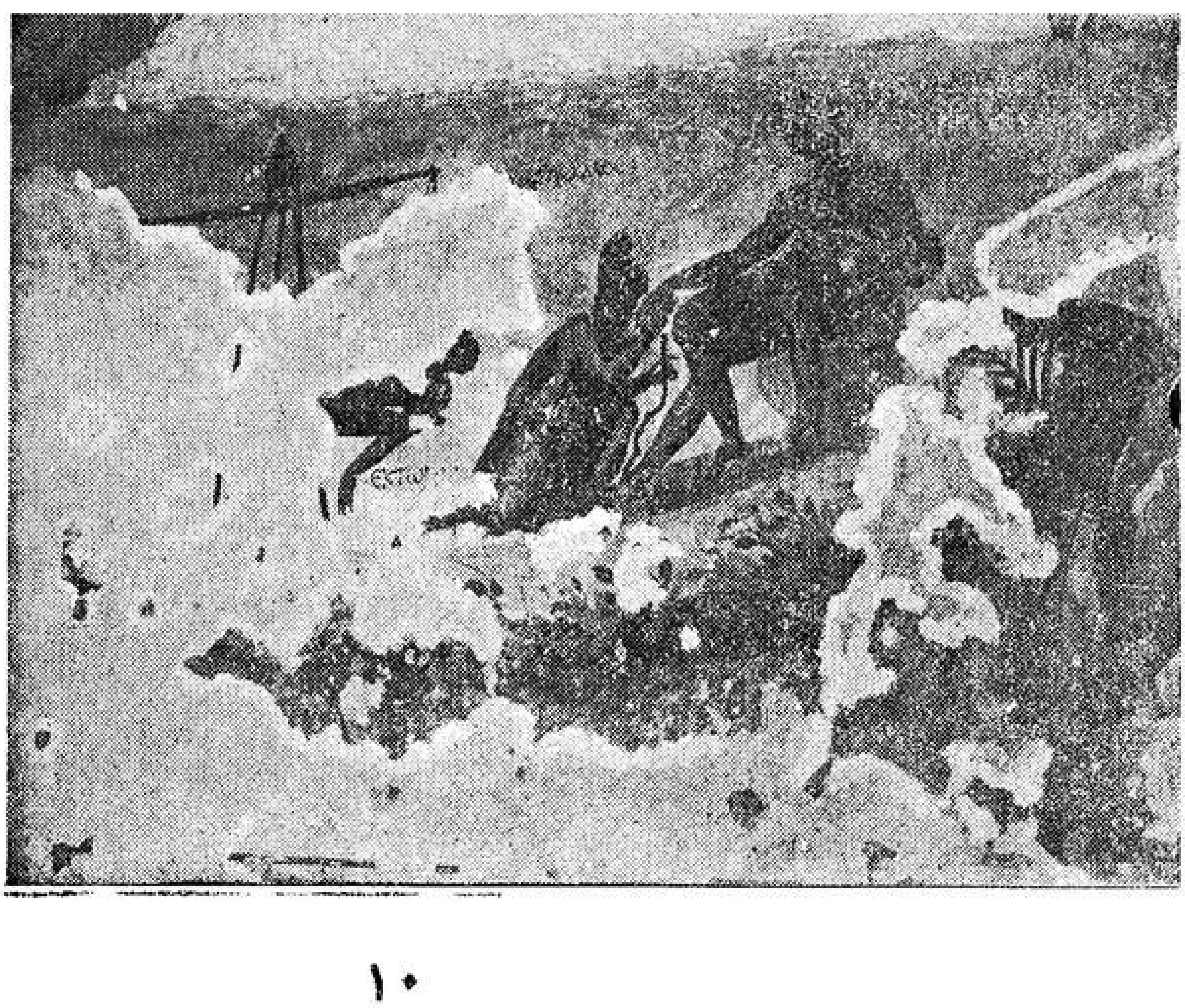
●

وهي من اللوحات الأثرية التي عثر عليها في مدافن صور وهي معروضة الآن في القسم الروماني من متحف بيروت الاثري .

ورب سائل يقول : وما معنى كل هذا النشاط في ايام عصيبة كايامنا هذه ، فلمثل هذا نقول ، ان شعب لبنان مدرك تمام الادراك اهمية ماضيه وهو عازم ان لا يألو جهداً في تفهم ذلك الماضي ، ان لبنان غني في آثاره العريقة في القدم وهي تمتد الى نحو ستة آلاف سنة .

ان حفريات جبيل قد اظهرت خرائب تلك المدينة الفينيقيه الشهيرة بحصونها القوية وبهيا كلها ودورها ومرفأها المزدحم . بيد ان اعمال الحفر في السنوات الخمس الاخيرة قد اظهرت ان تحت جبيل القديمة خرائب مدينة اقدم ، كانت محاطة بسور قوي وكان لها





هكتور بقتل الجزية

●

لوحة اخرى من اللوحات الاثرية الثمينة المعروضة في القسم الروماني من متحف بيروت الاثري .

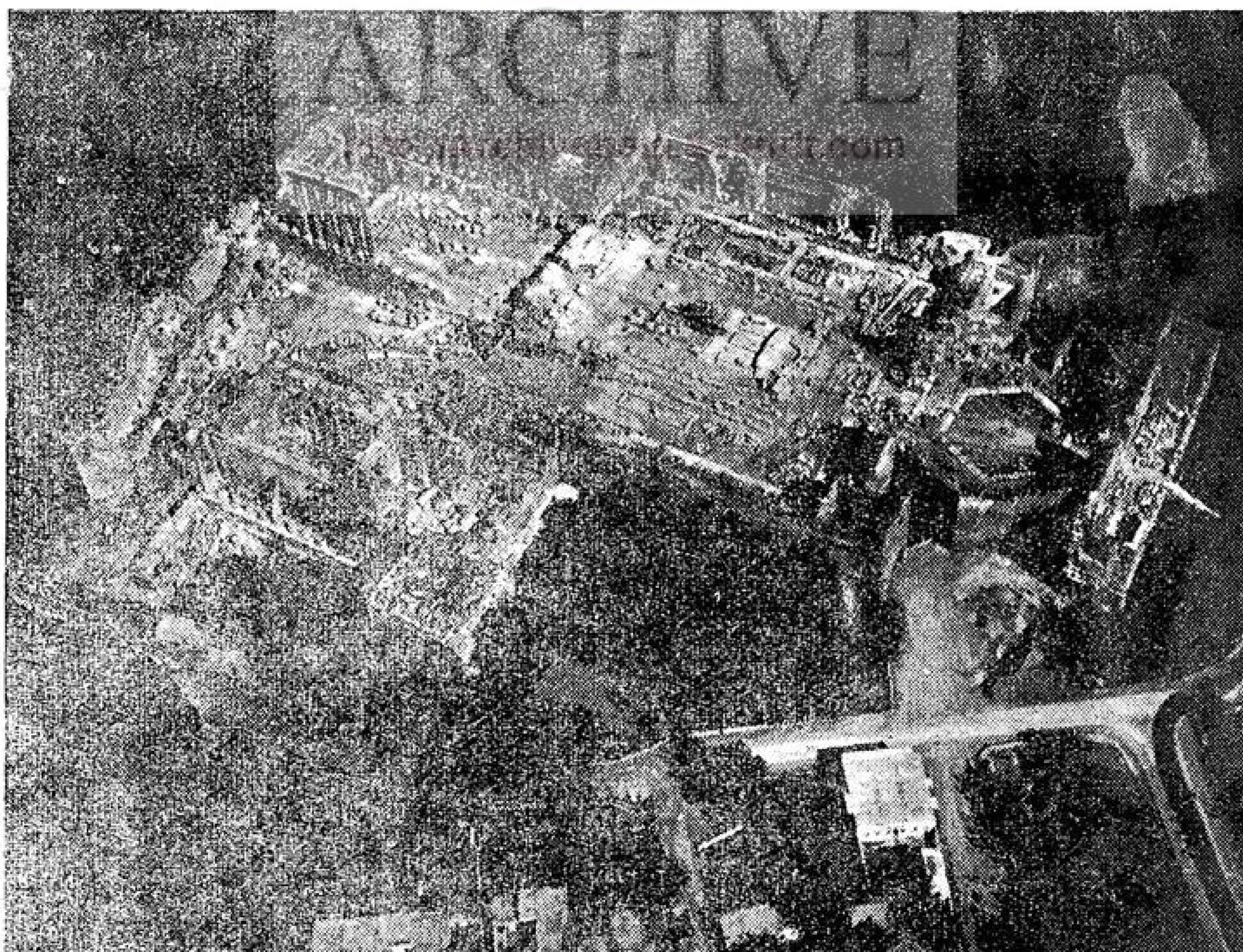
ايضاً مرفأ حافل بحركة التجارة . ولقد تبين من آثار الهياكل ان جبيل كانت في السنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد مدينة مقدسة يحج اليها المصريون . وفي المتحف اللبناني يرى الزائر بعض التحف التي كان يقدمها الفراعنة الى تلك الهياكل . ومما اظهره التعمق في حفريات جبيل ان سكان الساحل الفينيقي الاقدمين — الاسلاف الاولين لسكان لبنان الحديث — كانوا من الطبقة البسيطة يصطادون الاسماك ويزرعون الحبوب ويعصرون زيت الزيتون بادوات حجرية .

هكذا كان عصر الطفولة للشعب اللبناني . والواقع ان للشعب كما للفرد ادواراً يجتازها . فماضيه كناية عن طفولته وفتوته . فاذا ما بلغ اشده كان عليه كما على الفرد ان يتذكر ذلك الماضي ويتفهمه لكيما يتعرف الى نفسه . ان بعض الشعوب كبعض الافراد تظل في عهد الطفولة لان ماضيها لم يخلف لها علماً او اختباراً يخرجها من تلك الطفولة . اما البعض الاخر فقد بلغ اشده واصبح ماضيه حقيقة حية عنده يعتز بآثاره ويتخذوها وسيلة للتعرف الى نفسه . وان الشعب اللبناني كواحد من هذه الشعوب .

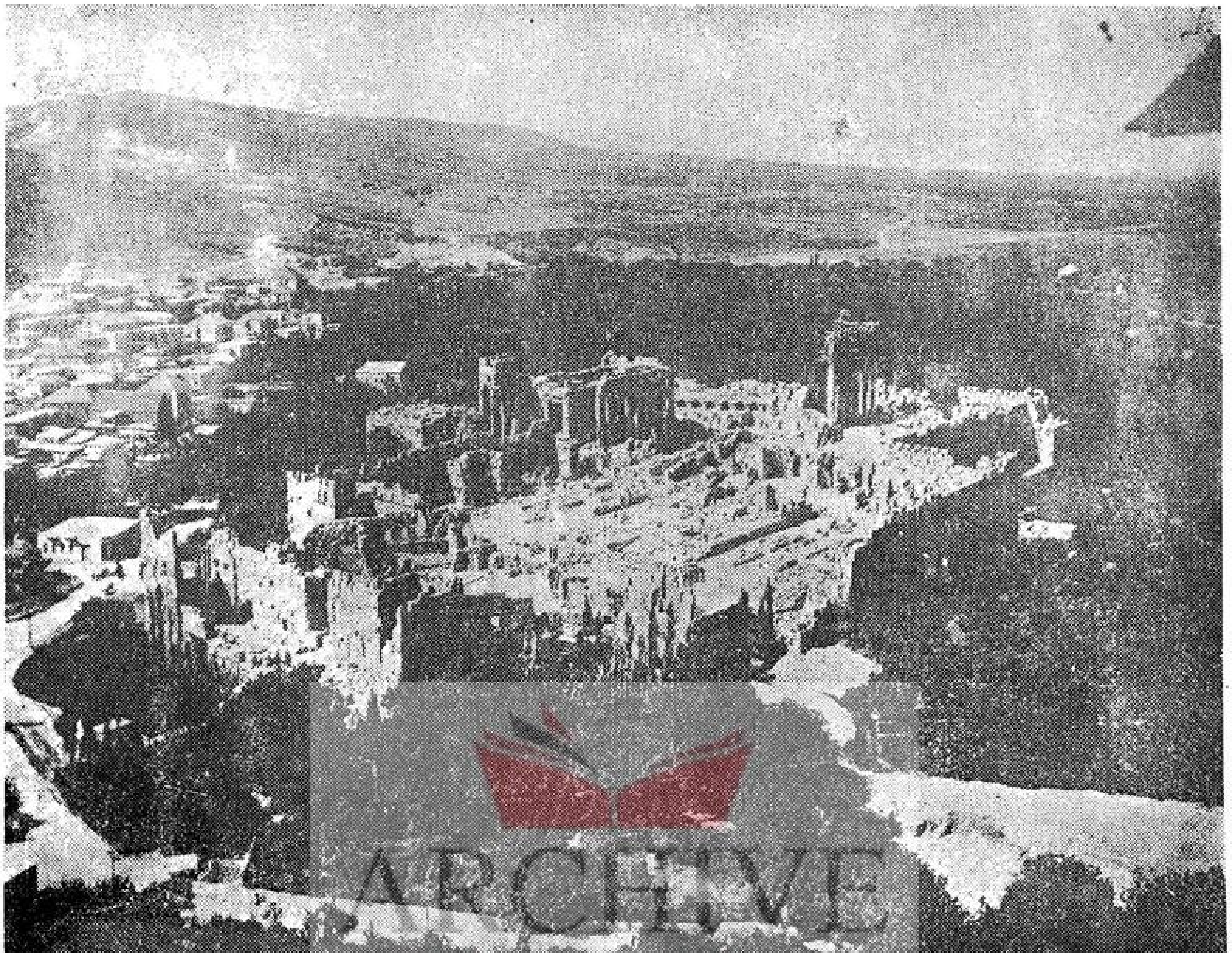
لقد حمل الصناع والتجار والبحارة الفينيقيون شهرة صيدا وصور الى اقاصي المعمور . وها هم ابناؤهم في السنة ١٩٣٩ يشرعون في التنقيب عن موقع صيدا القديمة .

ان ما تركته لنا تلك المدينة من التراث الثمين في الفن والبناء نراه يستخرج في هذه الايام العصيبة . وهكذا يقال عن المدينة الجزيرة صور فقد تمكن العلم من درسها مؤخراً مستعيناً باحدث الادوات ، بالتصوير الجوي الذي اظهر اكثر جداً مما تستطيع العين المجردة ان ترى ، فقد اظهر تحت ماء البحر انقاض الارصفة والمرافئ والسدود المائية التي استعملها الفينيقيون والاغريق والرومان .

ان العصر الروماني الذي كان فيه لبنان كما هو اليوم مساهماً بمدنية عالمية ، قد ترك اثره البالغ في ماضي سكان هذه البلاد . فان اعماله الهندسية لا تزال قائمة وقد تم تثبيتها وصيانتها . من ذلك ما تمّ منذ ثلاث سنوات في قناة نهر ابرهيم العظيمة فانها بفضل ما ادخل عليها من الترميم قد سلمت من الاندثار واصبحت اثراً تذكارياً باقياً . على ان ازهى ما يتمثل فيه العصر الروماني انما



صورة جوية لقلعة بعلبك





صورة لقسم من مدينة بعلبك وقلعتها اخذت من الجو

هو في المركز الديني الفخم في البقاع — اي بعلبك — التي اطلق عليها الرومان اسم مدينة الشمس ٠ فان هياكلها الشامخة طالما جذبت اليها المسافرين والمؤرخين وعلماء الاثار قرناً بعد قرن ٠ ان صيانة هذه الآثار وتحريرها مما ادخل عليها ، وجعل الدخول اليها سهلاً لجميع الناس ، قد توالت عملياتها سنة بعد سنة بدون انقطاع حتى تحققت اليوم جميعها بحيث ان الزائر يشعر وهو في بهو المدخل العريض او امام الهيكل العظيم او في المعابد الصغرى ان « بقاع » القرن الثالث بعد الميلاد قد انتفضت وعادت الى الحياة في هذه الايام ٠ والحقبة التالية التي اتصل فيها لبنان بالمدنية الغربية قد تركت لها اثاراً لا تقل عظمة عن سابقتها ٠ ان تأثير الممالك الصليبية في الاخلاق القومية لا يزال يرمز اليه ببقايا المدن والكنائس والقلاع العظيمة التي لم يسدل عليها ستار النسيان ولا تنكرت على السكان ٠ وها هي قلعة الشقيف على قمة الجبل تطل على نهر الليطاني كما تطل قلعة صيدا وكلتاهما تذكرنا بالماضي ٠

ان تشكيل لبنان الحديث مرتبط بالاسرتين الشريفتين معن وشهاب وبالاميرين العظيمين فخر الدين وبشير وقد خلفا في قصبة دير القمر وفي قصر بيت الدين آثاراً نفيسة ناطقة بعظمتها وبما كانت عليه مدنية لبنان في القرنين السابع عشر والثامن عشر ٠ ولقد كانت عناية اللبنانيين تحوط هذه الاثار حتى انها لم تمس ولا امتدت اليها ايدي التشويه ٠ وهوذا سراي دير القمر وقصر بيت الدين قد اعيدا الى شكلهما الاول مع كل ما فيه من زخرف وجمال ٠

ان ما في متحف بيروت من الاثار ، وما تبقى من المدن والابنية القديمة ان هو الا سجل الماضي غير المكتوب ٠ وما هذا السجل الا ما انتجته ايدي الناس وعبروا به عما في نفوسهم مما اتصل بهم من حياة السلف ٠ وان في اطراد اعمال الكشف عن هذه الاثار والحيطة لصيانته لدليلاً على ان في سوريا ولبنان شعباً قد بلغ اشده ، وان هذا الشعب مدرك لاهمية ماضيه وضرورة هذا الماضي لكيما يتعرف الى نفسه ، وهذا خير ضامن للمستقبل ٠

# البارون سيلفستر ده ساسي

بقلم نسيم يزبك

في قلب بيروت على مقربة من ساحة البرج والى جانب طريق الشام يمتد شارع صغير في اتجاه كلية القديس يوسف لكنه يحمل اسما كبيراً : اسم سيلفستر ده ساسي . وقد يكون موضع تساؤل وموضع اعجاب في بلد كهذا الذي نعيش فيه ، توثقت بينه وبين الغرب صلاة الفكر والثقافة ، فلا غرابة ان نجعل من هذا المستشرق الفرنسي موضوع هذا المقال .

ان لحركة الاستشراق مدرستها القديمة والحديثة ولسنا الان في معرض المقارنة بين اساليب المدرستين وما اخرجت كل منهما لخدمة اداب الشرق وآثاره من علماء وبحاثين . غير ان هنالك عالماً فذاً يتجه اليه الفكر بداهة عند ما نتحدث بمسألة الاستشراق ، الا وهو البارون سيلفستر ده ساسي المستشرق الفرنسي الذي اظهر منذ حداثته استعداداً مدهشا لدرس اللغات ، فتعلم العبرية والسريانية والكلدانية واحاط بالعربية والفارسية والتركية وادرك لغات الانكليز والالمان والطليان . وقد استمر ينفح فرنسا بل اوروبا جميعاً بروائع ابحاثه ومؤلفاته الجامعة في آداب الشرق ولغاته وآثاره خلال النصف الاخير من القرن الثامن عشر وخلال النصف الاول من القرن التاسع عشر حتى سنة الف وثمانماية وثمانية وثلاثين حيث شاء القضاء المحتوم ان تنتهي رسالته .

وقد جاءت مؤلفات البارون ده ساسي فتحاً من الفتوحات الباهرة في درس لغات الشرق الحية فالقت كثيراً من النور على غير مشكلة من مشاكل الادب والعلم والتاريخ في الشرق ، فانتقلت المدرسة القديمة مع هذا كله من طور الى طور بحيث انفتحت امامها ابواب كانت موصدة من قبل ودخلت في افاق منفسحة انفساح لغات الشرق المنتشرة من اليابان الى افريقيا الشمالية . وجدير بالذكر ان هذه المؤلفات التي اودعها ثمرات مجهوده الفكري الطويل تنقسم الى اجزاء ومجلدات ضخمة في مواضيع مختلفة ولغات متباينة يصح ان تكون على الجملة مرجع اهل العلم والفكر في الشرق فضلاً عن مقالات وابحاث تكاد لا تحصى ارسلها في اوقات مختلفة على صفحات جرائد ومجلات عديدة نذكر منها جريدة العلماء والجريدة الاسيوية ومجلة العالمين وقد كان لها اثر بعيد في الاوساط الاوربية التي تهتم بشؤون الشرق فاخذت دول اوروبا تشجع حركات الاستشراق فيها واخذ العلماء يتهافتون على اقتباس لغات الشرق الحية .

ومما يجدر بالذكر في سياق هذا الحديث ان سيلفستر ده ساسي بعد ان نال شهادته في علم الحقوق تقلد مهمة مستشار في ديوان المسكوكات فاتجهت افكاره للحال الى بحث هذه الناحية في تاريخ العرب فترجم كتابا الى الفرنسية للمقريزي في المسكوكات الاسلامية مع بعض تفاسير وحواش . وما كان دخوله عضواً في اكاديمية النقوش ليحول دون متابعة البحث والتقصي والاستطلاع فاخرج في تلك الفترة كتابه المعروف بتاريخ العرب قبل محمد وكتابه الاخر في مصادر الادب العربي . وفي سنة الف وسبعمائة واحدى وتسعين حملته اسباب سياسية على ان يستقيل من وظيفته كمراقب لصك العملة فانزوى في مقاطعة لوبريه وانعكف على الدرس والتنقيب فوضع ابحاثاً مستفيضة في اصول الدين الدرزي وجمعها في كتاب استغرق على ما يقال اربعين سنة من الجهد والتدقيق . وهناك كتاب آخر وضعه في قواعد اللغة العربية بعنوان غرامطيق عربي وهو من الاهمية بمكان وقد كلفه من البحث والمراجعة مدة تزيد عن خمس عشرة سنة وانصرف الى ترجمة كليلة ودمنة من العربية الى الفرنسية وكذلك ترجم مقامات الحريري مع بعض شروح وتعاليق وعني بتدقيق الفية بن مالك الشهيرة .

وبالواقع لا يستطيع احد ان ينتهي الى هذه النتائج الا اذا كان متصفاً بمزايا كبيرة كالثبات في العمل وقوة الارادة والاخلاص للعلم وما الى هذا كله من دقة الملاحظة وحدة الذهن . فاذا صح قول القائل ولعله كليمنصو : العبقرية هي صبر لا يلتوي ، فلا شك ان

سيلفستر ده ساسي يأتي في الدرجة الاولى بين عباقرة المستشرقين . لست ادري عند اي حد اقف بكم في مقالي عن هذا المستشرق الفرنسي العظيم الذي امتد تفكيره الى الشرق الاقصى فتناول سير اهل الصين واخبارهم واتجه الى آثار الفرس فعالجها واودعها اربع مجلدات وعمد الى تتويجها بتاريخ بني ساسان وانعكف على اداب الشرق عامة وآثاره فاستنطق الرموز والنقوش والكتابات القديمة وخلص منها الى حقائق لامعة وضعها تحت انظار علماء اوربا وحكامها فحملهم على مضاعفة الاهتمام بلغات الشرق وعلى الاستزادة من معرفة احواله . وظل سيلفستر ده ساسي في عزلته الهادئة الخصيبة في جهة لوبري حتى قرر مجلس كونفاسيون وهو احد مجالس الثورة الفرنسية تأسيس مدرسة للغات الشرقية بباريس في سنة ١٧٩٥ . والواقع ان البارون سيلفستر ده ساسي كان الداعية لتأسيسها فتولى منبر اللغة العربية فيها واخذ يساهم في تحرير مجلة العلماء بابحاث لفتت اليه انظار المفكرين وجعلته في طليعة المستشرقين كمرجع بل كمنار يهتدون به . ولم يلبث ان جمع بين يديه منبر الفارسية الى العربية في المدرسة ذاتها واصبح في الوقت نفسه نائب باريس في المجلس التشريعي وقد نال في سنة ١٨١٣ لقب بارون . ولما تولى ادارة كولاج ده فرنس وادارة مدرسة اللغات الشرقية عمد الى توسيع برنامج هذه اللغات حتى شمل بالاضافة الى المواد الموضوعة اهم لغات الشرق الاقصي كالصينية واليابانية والانامية وشمل ايضاً الارمنية والهندستانية . وكان على البارون سيلفستر الى جانب مهماته الفكرية والادارية والسياسية ان يقوم بوظيفة مراقب للنماذج الشرقية في المطبعة الملوكية وبمهمة الحافظ للمخطوطات الشرقية في المكتبة الملوكية . وقد كانت موضع اهتمامه الخاص فسافر الى « جنوى » في ايطاليا للكشف عن بعض مخطوطات شرقية ذات قيمة

ولا بد من ان نذكر له في جملة خدماته الخالدة انه اسس بالاشتراك مع ابل ديميسا الجمعية الاسيوية الشهيرة التي اهتمت بشؤون الشرق عامة والعرب خاصة وكانت الجريدة الاسيوية واسطة النشر لابحاث المستكشفين وآراء العلماء والمستشرقين في نواحي حياتنا الفكرية والاجتماعية والاخلاقية . ومن الثابت انه عند ما توفي البارون ده ساسي كان يحمل لقب عضو في جميع المجامع العلمية باوربا على الغالب مما يدل دلالة واضحة على مبلغ الاحترام والتقدير الذي كان يتمتع به كمستشرق له يد بيضاء على توجيه حركة الاستشراق توجيهاً علمياً عاماً . فالمهمة الفكرية التي اخذها على عاتقه وجاهد في سبيلها لم تنته بانتهاء اجله لانه ترك تلامذة وحواريين في فرنسا بل في مختلف انحاء اوربا تخرجوا عليه في درس لغات الشرق الحية وحملوا المشعل الذي كان في يده ساطعاً وظلوا سائرين على اثره على رأس حركة الاستشراق في الغرب نخص منهم بالذكر اتيان كاترمار الاشهر الذي وضع ما يزيد عن مائة كتاب في جميع اللغات السامية وكوسان ده بارسفال الذي كتب رسائل مستفيضة في تاريخ العرب وآدابهم وآراء قيمة في كتابات الحميرية وتوفي في العراق ملتحقاً ببعثة استكشاف علمية للنظر في خرائب بابل .

ولا بد من القول في النهاية ان البارون سلفستر ده ساسي هو حلقة متينة في سلسلة كبار المستشرقين العالميين يمثل المدرسة القديمة خير تمثيل وهو من اولئك العلماء المدققين الذين يستخرجون عبقريات الشعوب من كتبها وآثارها في ابرع صورة واجمل شكل ويصح ان يكون على الغالب مرجع اهل الفكر والعلم عندنا في ما كتبه من ابحاث وتراجم ومؤلفات كما كان من قبل مرجعاً لمعاصريه .

نسيم بزبك

# ليلى وعودي

لنقولا بندرس

أي معنى للوجودِ
دون ليلاي وعودي
كسرت عودي ليلى
وتناهت في الصدود
أيّ عودٍ كسرته
كان فردوس وعود
ينشر الحب على
الدنيا بالوان الورود

•

نسيت ليلى زماناً
سَلْ من جفن الخلود
ننهلُ الحب ونذري
الجمر في عين الحسود
نقرات العود ، اعرافُ
شفاه وخدود
واغانينا تماويج
خصورٍ وزنود
وبقايا قارب الاحلام
في الشط البعيد

# على موائد الادباء

بقلم

السيدة وداد سكاكيني

**موائد** الادباء ليست كموائد الاغنياء حافلة بالشهي من طعام وشراب، تطوف عليها احلام الفقراء في لياليهم السود ويتلهفون اليها قبل ان يلتهموا كسيرات الخبز وفضلات الاكول، وانما هي موائد للعقول والارواح فيها ثقافة للذوق ورهافة للشعور ومشحذة للاذهان واستجابة للنفوس وعليها بدائع الشعر وطرف البيان، وسحر اللحون وروعة التلاوين، وهي بساط الريح الذي حمل على جناح الابد اساطير الاغريق وبطولة الرومان وفتوح العرب ما عرف الانسان عليها رياً ولا شبعا، يعب من شرابها المعسول ويأكل من اطايبها اللذة ويقوم عنها وفي نفسه حنين اليها ونهم وفي عينيه لهفة وشغف.

هذه الموائد مبسوطة للاغنياء والفقراء على السواء، ينالها المتقلب على اعطاف النعيم ويقبل عليها المسكين والمحروم، ولموائد الطعام وموائد الادب خير وشر، وهدى وضلال، ولها اصحاب موهوبون وفضوليون واغاون، وفي احاديث هؤلاء الذين يقتحمون الولائم ويغشون المجالس والمجامع دون دعوة اليها اخبار ونوادر فيها مرارة النكتة وحلاوة الافكوهة وسحر البديهة، وقد حفل بها الندامى والمسامرون ورواها الظرفاء والمتندرون، على ان بعض الطفيليين خفاف الظل لطاف الروح، اذا دمر احدهم على قوم سلاهم وانساهم بذكائه سماجة التطفل فقد دخل طفيلي على جماعة يأكلون فشاركهم في طعامهم دون ان يحييهم وقد عجبوا منه فسألوه:

— من عرفت منا ؟

فاشار بيده الى الطعام وقال:

— عرفت هذا وكفى ...

فضحكوا وقهقهوا وبسطوا له الراحة في مجلسه والكرم في طعامه.

وبعضهم غلاظ ثقلاء يحلون كالوباء حيثما كانوا، ولقد يبتلي الطمع والنهم واغل الاكول بالزراية والعذاب كما روي عن طفيلي رأى نفراً من الكبراء يمضي بهم الشرط فاندس فيهم وهو يحسبهم انهم يسيرون في موكب الى وليمة احد الامراء، ولما ادخلوا على الامير حاسبهم على خطيئات اقترفوها وطرحهم الجلاد ارضاً واحداً تلو آخر، حتى جاء دور الطفيلي، فلما سئل عن ذنبه بكى واستشفع وقال للامير:

— مولاي فديتك ! حسبت القوم يولم لهم فجئت معهم، فامر الامير بجلده تأديباً له ولامثاله، اما موائد الادب فلها طفيليون اشد خطراً وابعد ضرراً، ان واغل الطعام اذا نفض يده من المائدة ونهض عنها شبعان انقلب دون ان يعبأ به احد او يترك لغواً وعراماً، اما طفيلي الادب — وياويح الادب — فانه يصدر عن موائده وما في الارض شر منه ولا اشقى وما نغص على اهل الادب بشاشة الفن وعزة الابداع مثل المقلدين والمتطفلين، وهل خلا دهر منهم في كل امة وفي كل بلد ؟

ففي القرن الرابع للهجرة شهد العرب عهداً للتطفل حافلاً بطائفة من اهله ، كان لهم ادب خاص اشتمل على حيلهم واحابيلهم ونوادرهم واخبارهم وفي المقامات التي أنشئت ذلك العهد وصف لبعض احوالهم وتطاولهم على اصحاب الموائد والولائم .

ولما تنفس هذا العصر وأطل على دنيا العرب بيقظته العقلية ونهضته الادبية استفاضت للناس في شرقنا العزيز اسباب المعرفة والثقافة فأبدع بعض المواهب طرائف الفن وأخرجت عقول المفكرين وقرائح الشعراء ثمرات مختلف ألوانها ومذاقها ، وهب الكتاب الى اسفار الادب وذخائره الدفينة ، يبعثونها ويتدارسونها ويجددون فيها ، وشاعت ثقافة الغرب في اقطار العرب فتمازجت لدى الادباء أساليب الانشاء وشغفت طائفة منهم باحتذاء الفرنجة فيما يكتبون ويقولون فكان منهم المبدعون المجددون والمتبعون المقلدون ، وأخذ الشعر يتطور بتطور الفن والثقافة ، فكان من شعرائنا وكتابنا فريقان يمثلان القديم والحديث والادب المطبوع والادب المصنوع ، وعاش على هامش هؤلاء نقاد متخرصون مضللون ونقاد هداة اكفياء ، وقليل ما هم ... وقد طلع في سماء العرب يومئذ كوكبان من كواكب الشعر هما احمد شوقي وحافظ ابراهيم واعتزت دولة النثر بكاتبين موهوبين هما مصطفى صادق الرافعي ومصطفى لطفي المنفلوطي ، هؤلاء الادباء وغيرهم كثير في بلاد العرب كانت لهم موائد غنية بسحر البيان وبراعة التفكير ورونق الاسلوب ، فاعجب بها المتنورون وتهجم عليها بعض الواغلين والمتطفلين فنالوا من الوانها الطريفة ونقدوها نقداً عنيفاً غير عفيف كان ينضح بالغل والحسد ولكن اهل الحقيقة لم يبالوا بنقد المتهجمين ولم يحفلوا بكيد الناقين ، لقد ذهبت مطاعنهم ونقداتهم بين سمع الارض وبصرها وبقيت موائد الادباء شاهدة على عبقرية اصحابها مرددة قول الله عزوجل « واما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » .

ما احب للادباء ان يبسطوا موائدهم لمن يقدرهم قدرهم او لمن يمشي على هداهم ويتفيأ ظلالهم باخلاص ! ، انهم ليبذلون لهؤلاء عصارة ارواحهم ومنتوج قرائحهم بايثار ، وكم بيض الله وجوه الضيفان الذين يعرفون الفضل ولا يضيعون العرف بينهم وبين الادباء بل ينوهون بآثارهم ويدعون الى تكريمهم وتخليد ذكراهم ! . وما امر على الادباء ان يبذلوا اعز ما لديهم لمن يتنكر لهم ويغضي على حسناتهم ويريد ان يطفئ نورهم ! ويأبى الله الا ان يسطع هذا النور ولو كره الطفيليون والزائفون .

والواقع ان كثيراً من الادباء هم المفرطون في جنب انفسهم وفي جنب ادبهم ، فقد يخطئون السبيل الى حماية موائدهم من سطو الفضوليين ولغو الواغلين ، وكثيراً ما اخذوا بايدي فئة من هؤلاء الذين ينشدون التأدب في ظل رعايتهم وعنايتهم فيرفعون من ليس جديراً بالرفعة ويشجعون من ليس خليقاً بالتشجيع وربما انقلب من عندهم جاحداً ناقداً لمن القى عليه الضياء واحاطه بالثناء والولاء ، فكان من جراء هذا الصنع الباطل ان راجت بضاعة ادب رخيص طنطن له بعض الصحف بالالقاب الضخام والاعجاب المزور فدب الغرور في نفوس اصحابه الذين اغاروا على موائد الادباء ينالون منها ما طاب لهم وينسخون ويمسخون ما هان نسخه ومسخه ، على ان بضاعة المتطفلين تقوم كما اسلفت على ثقافة هزيلة مرتجلة او متخطفة عجفاء ، فيتهافتون على الشهرة ويريدون ان يبلغوا بالحيلة والخديعة ما بلغه الادباء بطول المحاولة والمران والتمرس بالدراسة والاطلاع ، وهكذا يتعجلون الظهور بالتقليد والترديد ، والغض من اقدار السابقين والموهوبين والتطاول عليهم باللجاجة والدسيسة لعل مجداً ولو زائفاً يبنونه على انقاض غيرهم وليخدعوا الناس عن انفسهم — والفضل لا يخفى — فيقابلهم القوم وفيهم ذوو الفضل العارفون بابتسام ساخر ونظرات هزء وتفكير وان عند هؤلاء الاعلام الاقرام الخبر المكنون عن زيوف الادب وعارية الفن وسخافة المعرفة وفيهم الرواة الثقات لقصة سيرانو دوبرجراك حين كان يناجي روكسان من وراء انسان كالصنم كانت تحسب فيه الروح ويعجبها منه البيان ..

وبعد فلئن بقيت موائد الادباء عرضة للطفيليين يعيثون فيها فساداً فلسوف ينفض من حولها كل مطبوع وموهوب ويتجافى عنها الابداع والتجويد ، وما أرى حماية لهذه الموائد الغالية الا بتضامن الادباء وتعاونهم على حفظ آثارهم وتوجيه محصولهم الى اهدافه العليا ، وان يرعى اولو الامر عندنا قضية الادب حق الرعاية ، فليس للحكومات الرشيدة ان تقتصر عنايتها على غذاء الجسوم فحسب وانما عليها ان تعنى الى ذلك بغذاء العقول والنفوس ، وان يرفدها النقاد الهداة والصحافيون المخلصون بالتعزيز والتأييد ودفع ما ينسل الى موائد الادباء من الآفات والطفيليات وحينئذ تزداد هذه الموائد غناء وطرافة وتزدهر بمباهج الفن ولباب الحياة ، ويأمن ضيوفها الكرام لؤم الضيافة وسماجة المتطفلين والمتطفلات فينقلبون بعد شبع وري وهم حامدون لاريحية الادب وعبقرية الادباء .

وداد سكاكيني — دمشق

# شاب لا كالشباب ...

بقلم جبرائيل جبور
استاذ في الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

قال لي محدثي : قد عرفته . قلت من يكون ؟ قال : شاب انكليزي نقلت قصته منذ ايام موجات الاثير من محطة لندن . هو ابن خمس عشرة سنة يعمل في احدى قواعد الطيران في انكلترا . وانه لفي عمله ذات يوم مع نفر من لداته ، واذا بطائرة طراد بريطانية تحط في قاعدتها ، ثم يترجل سائقها ويدخل مهرولا الى مكتب المطار . وهنا ينتهز صبينا الفرصة فيعرض على زملائه الصغار خاطراً بدا له وهو ان يطير لاول مرة مستقلاً بنفسه هذه الطائرة . فابتسموا ساخرين ثم تحدوه جادين . فما كان منه الا ان وثب الى مقعدها وادار محركها فارتفعت به في الفضاء. وهنا أبلغ زملاؤه الامر الى رئيسهم ، فاخذ موظفو المطار ينسلون من مكاتبهم الى ساحة المطار ليشاهدوا مغامرة هذا الصبي الجريء، وهم يعلمون انها اول مرة يركب فيها طائرة . وطاف الصبي بطائرته سماء البلد ، ثم عاد فوق المطار واراد الهبوط فلم يستطع لسرعة الطائرة فعاد وحلق ثانية وتجمهر الموظفون والطيارون ليروه وهم واجمون . وجال صبينا في الفضاء جولة اخرى استطاع فيها ان يقصر من سرعة الطائرة . ثم عاد نحو المطار وهبط بطائرته اليه فحطت به سالمة كما لو كان يسوقها امهر طيار . وما هي الا ايام حتى رفعت عليه قضية وقدم الى المحاكمة فحكم عليه بغرامة نقدية وعلى كل من زملائه بمثلها ، ونهض الحاكم فالفظ الحكم ثم عقب عليه بقوله : وددت لو كان بانكلترا مئتا الف من طراز هذا الشاب .

قلت لمحدثي : اعظم بصاحبك ! ولكن صاحبي غير هذا ! صاحبي عربي . قال : عرفته ! هو عبد الرحمن الداخل ، صقر قريش، الشاب الاموي الذي نجا من سيوف بني العباس . فخلف الشام وراءه ، وهام يضرب في الآفاق وحيداً شريداً ، ثم حمل وهو في الثامنة والعشرين على الاندلس فعبر البحر وقطع القفر ودخل بلداً اعجمياً منفرداً فمصر الامصار وجند الاجناد ودون الدواوين واقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن سياسته وتدبيره ! قلت : ما صنعت شيئاً ! قال : عجزت عن معرفته فمن يكون ؟ قلت : شاب لا كالشباب !

ساس البلاد لسبع عشرة حجة ولداته عن ذاك في اشغال

انه محمد بن القاسم الثقفي حاكم البصرة وفاتح الهند وقاهر ملوكها وناصب الاعلام العربية خفاقة في سفوح جبال حملايا مستذرية بظلال قنانها . انه القائد الصغير بعمره، الكبير باثره ، الجنرال الذي لم يكن في تاريخ الحروب فيما اعلم جنرال بمثل حنكته وبأسه في مثل سنه . قال : زدني ! قلت : انه العصر الاموي والشام في ابان عزها يختال عرشها تحت الوليد بن عبد الملك، تمد ذراعيها للفتح، فكانتا موسى بن نصير في افريقيا والحجاج بن يوسف في العراق . ونادى موسى : من للاندلس ؟ فلباه طارق مولاه . ونادى الحجاج : من للهند ؟ فقال محمد بن القاسم : انا لها ! هذا يضرب في فتحه شرقاً ، وذاك يضرب غرباً . وتخايل عزاً يا عرش الوليد وتيهي فخراً يا عاصمة الامويين .

لم يكن الشاب الثقفي بالمغامر النزق الطائش او بالمتهور الذي يجهل عاقبة الامور . فقد ادرك هول ما هو مقبل عليه وفهم خطورة المحنة التي سيمر بها ، ويكفي ان يكون في طريقه احدى عقبتين : نهر الاندلس او مدينة قندهار

وقندهار ومن تكتب منيته بقندهار يرجّم دونه الخبر

انه يعد لحملته العدة . قالوا فجهزها بكل ما احتاج اليه حتى الخيوط والمسالّ وحتى الخل للجند وسار الى شيراز فاقام بها حتى تتام اليه اصحابه ووافاه اليها ما أعد له ثم اندفع في مغامرته الفذة يقتحم الهند . ارأيتم الى همة شاب يترك نعيم الحياة مع لداته على ارض الرافدين بقرب حميه امير العراقين ونسيبه الوليد ابن عبد الملك ملك الخافقين ليضرب مع ستة آلاف من الجند في مجاهل الهند مواجهاً شتى المحن والاخطار؟

انه يقتحم ارضاً لم يقتحمها قائد عربي قبله . لقد بعث ابن عفان في خلافته من يخبر خبرها فاتاه الرائد يقول : قد عرفتها يا امير المؤمنين وتنحرتها . قال : فصفها لي ! قال : ماؤها وشل وثمرها دقل واصها بطل ان قل الجيش فيها ضاعوا وان كثروا جاعوا فلم يغزها احد . اما محمد بن القاسم فليس هناك شيء يثني عزيمته . انه يقتحم على الهنود ثغورهم وحصونهم فيفتحها ثغراً ثغراً ويدكها حصناً حصناً، يسير من مكران الى فنزبور الى ارمائيل حتى يأتي الديبل وهو في فتحه شأن القائد المحنك يحكم الصلة بينه وبين قواعده . يكتب الى الحجاج وترد اليه كتب الحجاج . والحجاج لا يضن بشيء في سبيل انجاح الحملة حتى زعموا انها كلفت الخزينة ستين الف الف درهم والوليد قلق يخشى ضياع هذا المبلغ على بيت المال . ولكن الشاب الثقفي قد اعد للامر عدته انه يخندق حول الديبل وتركز الرماح على الخنادق

# الجار الفقير

بقلم احمد راسم

كان ينظر من نافذته الى الاشجار كأنه يراها المرة الاولى . وكانت حضرات غير منظورة تحوّم حوله .

أتعرف لون الاوراق في الصباح ولونها عند الغسق ؟

أتعرف شكل الاغصان التي تحمل الاوراق المشرقة ، وشكل الاغصان التي تحمل الاوراق المشربة الالوان ؟

وهل رأيت ، عند المغيب ، أشجاراً حمراء محملة اوراقاً شبيهة بتلك القلوب المسنة التي تدمى فيها الذكريات ؟

أتعرف ما هو التذكار ؟

فجميع الاوراق ، الاوراق المشرقة والاوراق المشربة الالوان ستكمد يوماً .

ثم تصفرّ ، ليس لانها ماتت بل حباً للجمال .

ذلك ان الاوراق الصفراء تنبض على الخضرة باكثر طراوة ، ولا تبدو كانها آخر دموع السنة بل كانها تذكار ابتسامة مجنح .

واذا كانت الاوراق الصفراء في شحوب رزين فلانها تريد كذلك ان تكون لنا ذكرى الماضي التي لا يمكن تمييزها . أتعرف ما هو التذكار ؟ .

هل عرفت السر الذي يخفي في الكلمات ؟ . فاسمع .

فكما أن الشجرة وأوراقها ، أغصانها المغمورة بالبراعم ، وظلها ولونها كامنة في البذرة ، في البذرة الصغيرة ، فثمة يا صاح ، كلمات تحتوي في ذاتها ظل النارنج المزهر .

وان كنت تستطيع — ولكن يجب أن تقوى على سماعها — فثمة كلمات تغرقك في حدائق الماضي . وقد تتذكر عندئذ عيوناً بقيت فيك كلحن موسيقي قديم .

كان الرجل الشاحب ينظر الى الاوراق الخضراء ، ولكنه كان يفكر في الاوراق الصفراء . ويفكر في الاشجان التي بقيت فيه ، وكاوراق الطريق سقطت يوماً من شجرة قلبه .

هل اتفق لك يا صاح أن رأيت في عيني جارك الفقير انعكاس صورتك حين يرتعش نظره المتردد كورقة لدى سقوطها ، كورقة تسقط بعد ان كانت الورقة التي عطفها النسيم على زهرة الورد الوحيدة ؟ .

فان يكن نظره بقي ممسوحا بصبغة الحلم بعد ان ابتلع المقدور الصارم جميع كلماته ، وان تكن نفسه لا تزال تلمع كزجاج الجوامع القديمة التي تحرقها الشمس ، فلانه احتفظ تحت اهدابه بصورة الحديقة القديمة مشرقة وزاهية ، الحديقة القديمة التي كان يرى على مقعد حجري فيها جارة له حجبت خصلة من شعورها جانباً من صدغها ، تبتسم بعذوبة حين تراه .

وهكذا في سكون الاشياء ، سيبقى بعد طويلاً يبتسم في الليل .

احمد راسم — السويس

# الصداقة في الامثال اللبنانية

بقلم شفيق طباره

◆

اهتم اللبنانيون بالصداقة ونشدوها وسعوا اليها وتهالكوا في سبيلها ، وامثالهم فيها تدل على فهمهم اداب المودة وادراكهم حقائق الاخاء . وليس بي حاجة الى بيان اهمية الصداقة في الحياة الاجتماعية فنحن نقضي من العمر سعياً وراء الصداقة اكثر مما نقضي سعياً وراء الحب . فاذا عشقنا امرأة وغدرت بنا وجدنا العزاء الاكبر في الشكوى الى صديق ، واذا فجعنا بعزيز لدينا لطف من حسرتنا وجود صديق ، واذا عصفت الكوارث باعمالنا التمسنا النصح من لدن صديق ، واذا ضاقت بنا الدنيا وعضنا الفقر بنابه فملاذنا الاعلى وملجأنا الوحيد بعد الله هو الصديق . فالصداقة والحالة هذه اثمن من الحب لانها تتصل بمختلف الاحداث التي يمكن ان تصيبنا بها الحياة . فمن الصديق في عرف اللبنانيين ؟ .. الصديق هو الوفي المؤاسي . ولا وفي الا من لا تغيره الحوادث ولا مؤاسي الا من كان عدة للنائبات . وجاء في امثالهم ( الصديق عند الضيق ) و ( يا ربي تشردقني بريقي لاعرف عدوي من صديقي ) و ( صديق اللي ما بينفع مثل عدو اللي ما بيضر ) و ( الصديق الموقع يا تيشفع يا تينفع ) . من اجل ذلك نرى اللبنانيين موالين لاصحابهم محافظين على المودة . وما اكثر ما اسمعنا المتقدمون من ضروب الوفاء بين الاصدقاء في ايام البلايا والمحن التي اصابت طوائفهم واحزابهم ، لا يغدر احدهم بالاخر بل يرعى صديقه ويحافظ عليه محافظته على نفسه . ذلك مما يدل على طيب الاعراق وكرم الاصل وشهامة النفس فاذا تآخى اثنان او اكثر ولو من طوائف مختلفة توارث اولادهم تلك المودة باقين على عهد اسلافهم مهما حدث بينهم من الضغائن . وفي ذلك قالوا ( صداقة الاباء متصلة بالبنين ) وكثيراً ما ينادي الواحد منهم الاخر : يا اخ ويا عم ويا ابن العم مع تباين النسب .

واعجب ما تنبهت له من قصص الوفاء والمؤاخاة بيننا مايرويه المتقدمون عن رجلين كانت تربطهما قديماً رابطة الاخوة الصحيحة والمودة الصادقة فحكم على احدهما بالقتل فاستأذن لتوديع اهله وكفله صديقه على ان يرجع في اجل معين . ولما كان الموعد ولم يأت جاء الكفيل وسلم نفسه بدلا منه عن طيب خاطر . فلامه الناس على عمله وبينما القوم يعدون آلة القتل اقبل المحكوم عليه مهرولا وقامت المشادة بين الصديقين كل يعرض نفسه للموت عن الاخر ولما راى الحاكم هذا المظهر الاخوي الرائع عفا عن الاثنين .

ذلك هو الصديق اللبناني . فهو اولا رجل وفي وهو ثانياً رجل مؤاس ، فأوصوا به وقالوا ( بعد نفسك عز صديقك ) و ( انفع صديقك بشي لا يضرك ) و ( حافظ على الصديق ولو في الحريق ) و ( صاحبك اللي بدك تماسيه وتغاديه كيف بدك تعاديه ) .

واللبنانيون من اشد الناس تشاطراً في السراء والضراء والصداقة عندهم توجب التزاور والكرم وحسن الضيافة وفي امثالهم ( بيت الضيق بيسع الف صديق ) و ( ان ما ساعتك البيوت بنحطك بالقلوب ) و ( زاد واحد بيكفي اثنين وزاد اثنين يكفي عشرة ) ومن تقاليدهم اذا قدم احدهم على قوم يأكلون دعوه للطعام قائلين ( مالحنا ) ويقصدون بالمالحة الصداقة فيقولون ( بيني وبين فلان خبز وملح ) اي ميثاق ملح او صداقة . وتذكرنا هذه العادة بالسامريين الذين ارادوا ان يثبتوا امانهم لدى ( يختشتا ) الملك فقالوا في رسالتهم اليه : ان ننسى ابداً الملح الذي اكلناه في قصرك . وهم يحلفون بالملح اي بالصحبة وما زال اللبنانيون في بعض انحائهم عندما يريدون ان يعقدوا محالفة او عهداً يأخذ كل من المتعاقدين لقمة خبز ويغمسها في الملح ويتبادلان اكلها وهذا الاتفاق المتبادل هو في نظرهما غير قابل الانفصام . فالذي لا يرعى حرمته يعد خائناً ويقولون عنه ( ملحه على ديله ) من باب النقد والاحتقار او التقريع . والظاهر ان فكرة الامانة المقرونة بالملح في مثل هذه العهود متأتية من ان الملح يحفظ الصداقة كما يحفظ المواد الحيوانية والنباتية من الفساد . ومن شروط الصداقة في عرف اللبنانيين ترك الخلاف وموافقة الاحباب بعضهم بعضاً في الصحبة والمعاشرة والخلاف اصل كل فرقة . ومما ورد في امثالهم ( شرط المرافقة الموافقة ) و ( اللي ما بيجي معك تعا معو ) و ( كل كره واشرب كره ولا تعاشر كره ) ولا يكتفي اللبنانيون بتقبيح الخلاف بل يوصون بترك الكلفة ويقولون ( شرط الالفه ترك الكلفه ) ويعتزون بالصحبة قائلين ( انا وفلان خوش بوش ) ويميلون الى مراعاة الاداب العامة فيقولون ( حط راسك بين الروس وقول يا قطاع الروس ) و ( اذا دخلت ضيعة ولقيت اهلها عم يعبدوا العجل حش واطعمه ) عملًا بالقول المأثور : ( دارهم ما دمت في دارهم وارضهم مادمت في ارضهم ) . وهم يوصون بالقصد من المودة ويدعون الى الحرص على الصديق واستبقائه ما استطعنا اذ من الوفاء به ان يراعى ولا يهمل فيقولون ( صديق المنقى لا تفوته من اول دقسه ) و ( نحى

تعرفه ولا جيد تتعرف عليه ) و ( احفظ عتيقك جديدك ما يدوم الك ) و ( اللي ما له عتيق ما له جديد ) و ( عشير الصبا ومال الخبا ) ويدعون الى تحكيم العقل في اختيار الصديق كما يجب تحكيم العقل في اختيار المرأة عندما تفكر في الزواج لان الصداقة نوع من الزواج ولكن في دائرة الفكر والروح . وفي امثالهم ( ان كان بدك تلبس ألبس حرير وان كان بدك تعاشر عاشر امير ) و(ياشي يصلح يا تركه اصلح ) .

وعلى الصديق ان يحاسب صديقه علي هفواته في عبارة سمحة وعتاب رقيق فاذا اهمل احدهم صديقه غمزوه وقالوا له في معرض التهكم والملام ( اللي يشوف احبابه بينسى اصحابه ) و ( كل جديد وله لذة وكل قديم وعليه السلام ) ويلومون المتغيب بقولهم مصر مش بعيدي على عاشقها ) و ( مكة ما بعيدي على اللي بيزورها ) . ويقولون للمتباهي عليهم ( لا بد ما الذهب بيعتاز النخاله ) و ( لولا قش الحصيرة ما طلعت الحريره ) ويقولون لمن كان نصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد ( ما بتعرف خيري تتجرب غيري ) و ( عشرتك متل ليمون الحلو اولها حلاوة واخرتها عداوة ) و ( صحبتك متل عشب السطوح ما بتلحق تطلع حتى تروح ) وخبروا ان المعاملات في الغالب تفسد الصداقات فقالوا ( صاحبك بدك يدوم حاسبه كل يوم ) و ( صديقك بدك تبقيه لا تأخذ منه ولا تعطيه ) .

واساس اختيار الصديق عندهم هو تشابه الميول والعواطف فيقولون ( ما ترافقوا تاتوافقوا ) و ( كما حنا كما حنين ) و ( الحسن اخو الحسين ) و ( قدري ولقيت غطاها ) و ( فوله وانقسمت ) و ( كما التنور كما الكاره كما ام انطون الورواره ) . ومن آداب الصداقة عندهم الوداعة والبشاشة . واوصوا بان نعود انفسنا طلاقة الوجه ودماثة الخلق ورقة الطبع وحلو الكلام لنصل الى قلوب الناس ونجاب البهجة والطرافة الى الحياة فقالوا ( روح حلو وتعا حلو بتدخل ) و ( بشاشة الوجه نعمة من الله ) و ( اللسان الحلو بيخهر الحيه من وكرها ) و ( ان كان بدك الناس تحبك وانت فقير احكي لهم شيء يبسطهم ) و ( البشاشة رشوة والمودة نشوة ) ومن مظاهر فرحة الصديق بالصديق قولهم عند ملاقاته ( وجهك والا ضوء القمر ) و ( من زمان هالقمر ما بان ) و ( من حضر ما غاب ) و ( الصدفه خير من الميعاد ) و ( جبل على جبل ما بيلتقي وعين على عين بتلتقي ) . ويقولون المتغيب عن داره ( الناس بدارك والمفتاح بزنارك ) ولهم في مزاحهم كنايات من ذلك قولهم للقادم عليهم ( كانت القدري ناقصه بتنجانه صارت طافحه وملانه ) و ( كمل النقل بالزعرور ) و ( اذكر الديب وهيء القضيب ) و ( ابن الحلال عند ذكره يبان ) واذا تهيأ بعضهم للذهاب عندقدوم احدهم يقولون ( لمن بتحضر الملائكة بتهرب الشياطين ) و ( اذا حضرت الخيالة بتقعد الحمارة على جنب ) وعند الذهاب يقولون ( استوت العلة وحلت الفلة ) و ( الروحه باليد والمجيه ما باليد ) و ( الغايب الكم والهدية الىا ) ولهم نظرة حكيمة في تأثير العشرة ففي امثالهم ( من عاشر القوم اربعين يوم يا بيصير منهم يا بيرحل عنهم ) و ( قال له بتعرفه ؟ ... قال نعم . قال له عاشرته ؟ .. قال لا . قال له اذاً ما بتعرفه ) و ( عاشر المصلي بتصلي وعاشر المغني بتغني ) . وينهون عن صحبة الفجار لما في ذلك من تعرض للمكروه فيقولون ( من كان الديك دالوله صار القن مأواه ) و ( الحق الديك وشوف اوين بوديك ) وينصحون باتقاء صحبة العنيد فيقولون ( عاشر كردي ولا تعاشر جردي ) و ( من عاشر الجيد منو بيكتسب وينال ومن عاشر النذل صار مثله وانذل ) و ( ملازمة النذل للحر ضيم ) و ( فيهم يعاشر بهيم داء دفين ) وهم يدعون الى اجتناب صحبة اهل المنافع فيقولون ( الصاحب المخسر عدو مفسر ) .

وعلى الصديق ان لا يعتمد على صديقه الا بعد ان يمتحنه حتى يلمس فيه الخصال الكريمة وعندئذ يستطيع ان يقرّبه ويخلع عليه لقب الصديق الوفي وقالوا ( ما الك صديق الا بعد قتله ) اي بعد العداوة وفي نظرهم ان النعم تجلب الاصدقاء وان المحن خير امتحان للصداقات فقالوا ( يا كثرة اصحابي لما كان كرمي دبس ويا قلة اصحابي لما صار كرمي يبس ) وامتحنوا الحياة وخبروا اصناف الناس فقالوا ( اصابعك بايدك ما هم سوا ) وباوا لؤم البشر وتأففوا منهم ومن كلامهم ( الناس اجناس واكثرهم انجاس ) و ( وعند الضيق لا اخ ولا صديق )

ذلك ما خبروه في الحياة وهو كلام نفيس يدل على بصر اللبنانين باسرار النفوس واخلاق الناس وما كنت لابسط القول بوصف الصداقة في عرف اللبنانيين من خلال امثالهم لولا ما فيها من الحكم التي تستحق العناية لانها تفسر لنا جانباً مهما من خصائص النفس اللبنانية وتعرّف القراء بشمائل اللبنانين في مسالكهم الخلقية والمعاشية وتعطي صورة صادقة عن المجتمع اللبناني في هذا الحين .

شفيق طباره

# ساريه الاحلام ..

على الشطّ سناً يبدو من الآمال يغرينا
وفي البحر دوىً ترنو عليها السحر يسبينا
تعالي نسكر الليل على لحن اغانينا
ونطفي حرقة القلب بدمع من مآقينا
وناي الحب في رفق تناغيه ايادينا
وننسى العالم الماضي على رشف امانينا
تعالي فالهوى بكر تهادى في مغانينا
يذيب العطر في كأس من الشوق ويسقينا
وان باح الدجى سراً ففي الفجر تلاقينا
لنا الاحلام سارية ونار الوجد تهدينا
وقوس الغيم لماح بوجه الافق يشجينا
وللمجهول مسرانا ووادي الغيب وادينا
سنفني العمر في دهر من الامواج تطوينا
وان دارت بنا الدنيا ففي الذكرى تعازينا...

احمد عبد الجبار

# الحركة الفكرية في سويسرا واسوج



برنار باربي

## في سويسرا

أخذ سنت بوف على جاك نيكر ، في الدرس الذي خصصه له ، اسرافه في اشتغال الجملة حتى ليكاد ينفر منها التكليف والاتباع ، وما اخذه النقادة الفرنسي على الكاتب السويسراني اخذه على سائر الكتّاب السويسرانيين باللغة الفرنسية ٠ والواقع ان الكاتب الحقيقي يجب ان يكون من بلده بشيء من الحب ان لم يكن بكثير منه ٠ وقد وجه سنت بوف هذا التنبيه اذ كان يدرّس اللغة الفرنسية باوزان في وقت كان الاديب السويسراني يفتش فيه عن طريقه معتقداً انه سيهتدي الى هذا الطريق بتزيّده في اتقان الجملة ومبالغته في زخرفتها ٠ ولو ان سنت بوف عاد اليوم الى ضفاف بحيرة ليمان لاتضح له ان دروسه قد أعطت ثمارها ٠ فشينفيير ، وروبر ده تراز ، والسيدة دوريت برتود ، وليون سافاري ، والبر رينوالد ، وفردين ، ومارتو ، وشابل ، وبوشه ، وبيتركان ، وبرستر وغيرهم كثيرون طبعوا مؤلفاتهم بطابع بلادهم ، وكما شرفوا وطنهم بمواهبهم شرفوا الثقافة الفرنسية التي يرجع اليها الفضل في ما اكتسبوه من الوضوح في التعبير ، والرشاقة في الانشاء ، وتذوّق الافكار العامة ٠ وقد لا نستطيع في هذا الفصل القصير ذكر جميع الموهوبين الذين مهروا المكتبة الفرنسية بروائع خالدة كالسيدة نوئيل روجه ، والسيدة مونيك سنتيلير ، والفيلسوف ليون بوب ، ودانيال بودبوفي ، وبرنار ده ويك ، وبرنار باربي وبرنار بوفيه ، ومرسيل ريمون ، الدكتور في الصوربون ، وبول شابونيير ، صاحب الدروس القيّمة في فولتير وبيرون ٠ كان الادب الفرنسي في القرن التاسع عشر ينظر الى الاديب الروماندي ، أي الاديب السويسراني الذي يكتب باللغة الفرنسية ، نظرته الى نسيب فقير جاء من أطراف مقاطعة بعيدة ٠ اما اليوم فقد تبدلت نظرة الادب الفرنسي تبدلا تاماً ٠ والواقع ان ادباء سويسرا الروماندية يستوون مع الادباء الفرنسيين في مرتبة واحدة ، وقد لا يقل راموز مثلاً قيمة عن أي اديب باريسي ٠ اما الشعراء فلا يحصى لهم عدد وفي طليعتهم شينفيير ، ورينولد وهنري سبييس ، ورنه لوي بياشو ، وفرانسوى فرانزوني ، وبيير جيرار ، وجان فيوليت ، وماتي ، والسيدة كوشه الباره وغيرهم ٠ وهؤلاء الشعراء العِذاب اللغة ، العميقو التفكير والحس ، المشربو الروح بالحب والحنان اذا كانوا يهيمون على انفسهم في البقاع المشرفة على البحيرات الصافية ، في قلوبهم المحبة وعلى شفاههم الشبّابة ، فهم يدخلون الى نفوسهم قبل ان يطلقوا مقاطعهم على مجرى الرياح العابرة ٠



رينولد

وتختلف سويسرا عن سائر الامم بانها تتكلم اربع لغات رسمية عدا اللهجات التي تختلف باختلاف المناطق بل باختلاف الاودية ٠ سوى ان التقاليد الديموقراطية تجمع بين السويسرانيين على اطلاقهم وتؤلف منهم وحدة سياسية لا تتجزأ ٠ والشعب السويسراني يوجب على ادبائه ان يكونوا حملة علمه الوطني ، فهو كبير اليقين ان الروائي والشاعر والمؤرخ والفيلسوف يصبحون خطراً على الامة اذا لزموا ابراجهم ولم ينزلوا منها الى ساحة الشعب ٠ فالاديب في نظر الشعب السويسراني يحمل اعظم تبعة وطنية ٠



ماريكا ستيرنستد

# في اسوج

كان آخر القرن التاسع عشر امجد عهد مر به الادب الاسوجي ، وهذا العهد الذي اتسم برجعة قوية ضد واقعية الاديب الاسوجي ستريندبرغ والفرنسي زولا دخل اليوم في التاريخ ، سوى انه ما يزال ممثلاً باسمين عظيمين، بفرنز ده هيدنستام الذي رأى فيه جيله زعيماً لرومنطيقية مجددة ، وهو شاعر وقصاص من الطبقة الاولى ، وسلمى لاجرلوف التي توفيت لسنتين خلتا ، وهي اعظم



سلمى لاجرلوف

ادباء اسوج على الاطلاق وفي الطليعة من ادباء العالم قاطبة . على ان القسم الاكبر من اعضاء الجامعة الادبية الاسوجية الحاليين ، يوجه نشاطه الى النقد ، فينشر وجهات نظره في الصحف اليومية الكبرى المفضلة على المجلات . وفي عداده فردريك بوك واندره استرلنغ ، وهذا الاخير شاعر ونقاد ، وكلاهما من الاكاديمية الاسوجية ، وبو برغمان وستن سكلندر وكجل ستروهبرغ ، صاحب المؤلفين المشهورين باريس وفرنسا العذبة . وقد يختلف الادباء الاسوجيون عن زملائهم في الاقطار الاخرى من اوربا بانهم لا يتخاصمون الا في النادر القليل . فالادب الاسوجي متسم في مجموعه بالاعتدال والانسجام .

ولا نزاع في ان اقوى عناصر الادب الاسوجي الحديث نما في القرية الاسوجية ذات الجذور الديموقراطية . ولا نزاع ايضاً في ان الكتاب الاسوجيين مدينون لفرنسا ، لموباسان وفلوبير وزولا وبودلير وبروست . وليستطاع تمييز اتجاهين في الادب الاسوجي المعاصر ، احدهما متحول نحو اليمين الاقصى والآخر نحو الشمال الاقصى ، سوى ان روح التضامن يسود هذين الاتجاهين . ولكن بين هذا وذاك مكان فسيح يقطنه بضعة من المنعزلين بينهم اكبر ادباء اسوج كالشاعرين الخطيرين فيلهلم اكيلوند وبير لاجركنيست . ولد اكيلوند في العام ١٨٨٠ وتأثر في شبابه باتباع الرومنطيقية الاوربية في القرن الماضي ، وتبدو على شعره مسحة قوية من الروح اليوناني . وبما ان هذا الشاعر ما عاشر عظماء الكتاب الاقدمين فهو اعظم ناسك في الادب الاسوجي الحديث . اما بير لاجركنيست الذي ولد في العام ١٨٩١ فيختلف عن اكيلوند بعدة نواح ، فهو قصاص من الطبقة الاولى تسوده مسحة من التصوف ، وهو يذهب الى ان الحب ديانة ، بل سلاح يتقي به الانسان اخطار الفوضى . والروح الاسوجية غنائية قبل كل شي ، وقد لا يوائم شكل القصة مزاج الشعب الاسوجي . والاسوجي بوجه عام لا يعبأ كثيراً بالتحليل النفساني ، وربما يرجع السبب في ذلك الى ان الاسوجيين شعب صغير في فسحة عريضة من الارض ذات غابات ممتدة الاطراف وطبيعة ما تزال عذراء ، وشتاء كالح مظلم يباعد بين الناس اشهراً عديدة من السنة . ولذلك نرى النثر الاسوجي يؤثر اختيار الاساطير الغنائية ، ويفلح في تصوير النساك البعيدين عن الناس . على ان هذه القاعدة لا تشمل جميع الادباء الاسوجيين ، فمن بين القصاصين من يشبه الادباء الاوربيين كالسيدة ماريكا ستيرنستد ، وهي من اصل بولوني وحفيدة الكونتس المشهورة هانسكا ، صديقة بلزاك ، وقد استهلت حياتها الادبية بقصص يغلب عليها نفوذ بول بورجه .

وما يقال عن النثر الموسيقي يقال عن الشعر ، فالشعر في اسوج غزير وغني ويدل على ثقافة عميقة ، وقد تكون كارين بوي اشعر من في اسوج اليوم . وفي عداد الشعراء اولي الشخصية يلمار غولبرغ ، ويوهنس ادفلت وغونار اكيلوف . اما غوستاف فرودنغ فينتسب بعبقريته الى اعظم الخالدين في كل زمن ، سوى ان الاجانب لا يستطيعون ادراك جمال شاعريته الا بصعوبة كبيرة ، وذلك دليل على ان القوام الموسيقي في الشعر لا يعبر حدود اللغة الا بجهد كبير .

# المناظرة

بقلم محمد انقاش

ليس في تاريخ البشر ، من مظاهر الحيـاة الاجتماعية ما هو اقدم ولا ابرز من خلاف وجهات النظر ، الذي يقود الى المناظرة ، بل ان اسطورة النوع البشري قائمة على مناظرة. فما اختلف آدم وحواء في النظر الى التفاحة ، حتى بدأت المناقشة بينهما ، هو يحمل على التفاحة ويقدح بما تكنه من سم وشقاء ، وهي تشيد بها وتتغنى بما فيها من لذة واغراء . الى ان كانت النتيجة التي تعلمون ، فانتصرت حواء في المناظرة بقوة حججها او رجاحة شخصيتها . وانخذل آدم لوهاء براهينه او ضعف شخصيته ، وكان ان طردا من الجنة الى هذه الارض اللعينة ، يملآنها بنسل على شاكلتهما وصورتهما ، همه التناظر والتساجل والتكافح . من قابيل وهابيل الى اصغر كائنين ولدا الساعة .

وزاد المشكلة حرجاً والطين بلة مناظرة ثانية ، سبقت تلك المناظرة الاولى في النوع البشري بين آدم وحواء . وربما كانت الاساس الاول ونقطة الانطلاق دون منازع . جرت بين المولى عز وجل ، وبين ابليس الملاك الطاهر سابقاً . فالمـولى عز وجل يطلب الى هذا ان يسجـد لآدم . وابليس يعصي ويتمرد . اذ كيف يريده ان يؤدي هذا الاكبار والتعظيم لمن يعتبره ادنى منه مكانة وعنصراً . فهو — اي ابليس — قد خلق من نار ، وآدم من طين ، وهل يجوز للنار المتوهجة رمز القوة والنور ان تسجد للطين الباهت الحقير ؟ وانتهت المناظرة على الشكل الذي تعلمون ، فانتصرت حجة الاقوى ، كما لا تزال تنتصر احياناً كثيرة ، واخرج ابليس من الجنة وهو لعين .. ولا يزال هـذا الخناس ، يوسوس دائماً في صدور الناس ، ويدفعهم الى الخلاف والمناظرة ، مقسماً ان يثأر لنفسه من ابناء آدم الذي كان السبب في اخفاقه ومسخه من ملك كريم ، الى شيطان رجيم ..

وهكذا نستطيع ان نجمل التاريخ البشري ، فنقول انه سلسلة مناظرات . مناظرات تبدأ في الفكر ، وتخرج الى حيز الظاهر كلاماً او كتابة ، وقد تنتهي بالضرب او الجرح او القتل . وان كانت المناظرة بين جماعتين اتسع نطاق الضرب والجـرح والقتل ، وكان ما يسمونه حرباً .

وكما انطلقت المناظرتان الاوليان عن كبر وشهوة ورغبـة في الغلبة كذلك شهد ولا يزال يشهد مناظرات دافعهـا الاصلي الكبر والشهوة والرغبة في الغلبة . فهذه الغرائز النامية في الافراد والجماعات على السواء ، تهيب بهم الى مناوأة امثالهم ومناهضة القريب .

على ان هذا الصراع الدائم الذي سقطت في ميادينه ملايين القتلى بل مئات الملايين لم يكن شراً كله . فمن تناحر الشهوات ونضال العقائد . واشتباك المطامع ، وقتال المنافـع ، حدث تفاعل في الاراء والاجتهادات ، تفاعل مهره الدم بخاتمه القـاني ، فأدى الامر الى هذا التطور ، والى هذا الرقي الذي عرفته البشرية . وكان من جراء هذا كله ، ان ارتقت اساليب المناظرة نفسها ، برقي العلم وغزو الحقيقة غزواً نسبياً ، وقهر الاهواء والنزوات قهراً محدوداً ، وتقريب وجهات النظر بعض الشيء . فلم يبق الخلاف كلياً مطلقاً بين الافراد والجماعات بل اصبحت هناك نقاط او بقاع تصالـح للتفاهم ، بقاع مدينة لوجودها لصراع الاجيال السابقة .

ولا نستطيع بالطبع ان نغرق في التفاؤل ونعتقد ان المناظرة الدموية ، المناظرة الناشئة عن المكابرة في طريق الزوال . فربما اقتضت لها اجيال وعصور طويلة ايضاً . ولكننا اذا ما قارنا بين الحاضر والغابر ، وجدنا ان حرية الرأي قد سجلت بعض النقط في العالم ، وان المناقشة السلمية المعتمدة على الحجة والحقيقة النسبية قد قطعت شوطاً بفضل تقدم الروح العلمي ، وان المساجلة الحرة البعيدة عن الضغط الظاهر لم تبق عديمـة الوجود . ونستطيع ان نحس نوعاً من الابتهاج ، باننا صرنا في كثير من انحـاء المعمور ، قادرين على ابداء ارائنا ، والدفاع عنها ، والطعن على اراء الغير

وبالعكس ، دون ان تهوي على رؤوسنا يد بصولجانهـا او بصوتها ، ودون ان يأخذ احدنا بتلابيب الاخر ، ليقنعه بواسطة لكمة او رفسة ، بصحة وجهة نظره ! وان كان السيف لا يزال اصدق انباء من الكتب ، بين جماعة ، فان حده لم يبق الحدالوحيد في الجماعة الواحدة كلما ذر قرنا خلاف فيها ، بل انه قد اختفى تماماً عند بعض الجماعات الراقية ، وحلت محله « الكتب » في اشكال شتى ، صحفاً وخطباً وما شاكل ومهما حوت الكتب والصحف والخطب مع ما تعتمد عليه في قهر الخصم من قـوة الحجـة وخلوص النية ، مهما حوت من اساليب ملتوية يشوبها احياناً كثير من الخداع والمغالطه فهي اسلحة مفتوحة لا تميت دائماً . وللذكاء ان يفند مزاعمها ، ويشل سمهـا ، او ان يكيل لها بمثل كيلها . وفي كل الاحوال تبقى الفرصة سانحة للخصمين في ان يستنفدا كل ما عندهما . وفي هذا العرض الطويل مجـال لتنوير الاذهان التـابعة لهما ، او المتفرجة عليهما ، بينما السيف قاتله الله يحسم الجدل دفعة واحدة ، ويسد كل طريق الى تبـادل الاراء وتفاعلها .

قلنا ان المناقشة الحرة قد دقت اسفيناً عند بعض الجماعات او القت مرساها عند البعض كما لا يزال السيف هو المسيطر عند البعض الاخر فمن اية هذه الجماعات نحن ؟ اننا لا نزال بين بين ، فلا حق المناظرة بممنوع ، ولا السيف بمقطوع . ذلك اننـا لما نبلغ من الرقي ما يؤهلنا لفتح باب المناقشة على مصراعيه ولا تزال هناك اعتبارات شتى في رأسها الجهل مهيمنة على عقلياتنا . على ان وجه الطرافة والغرابة في الامر اننا رغم هذا الوضع او بسبب هذا الوضع نفسه احوج ما نكون الى فوائد المناظرة لتتفاعل اراؤنا ونخلق عـدة بقاع للتفاهم فيما بيننا . فكيف يتاح . لنا ان نتنـاقش مخاطبة وكتابة دون ان نؤذي بعضنـا بعضاً ودون ان نضطر الى تحكيم السيف ؟

انها لمهمة عسيرة وايم الحق . فنحن نسكن موطناً من الارض طالما كان ملعباً لتيارات التاريخ ونحن وليدو اجيال متنافرة ، ونحن ابناء ثقافات دينية ودنيوية متبـاينة ، ونحن عرضة لميول شتى ، ونحن سفينة تحطمت دفتها وسط اوقيانوس بلا نهاية ، وحرنا اي الاتجاهات نعتمد ، واي طريق نسلك فمن الضروري ان نتناظر ونتساجل بغية الاتفاق على الطريق الاحسن ، قبل ان يفوتنـا الاهتـداء ودون ان تعم الفوضى على ظهر السفينة وننتهي بالاقتتال فلا يصل الى الشاطئ الامين – ان وصلت السفينة – منا احد .

ولبلوغ هذا يجب ان نرقي اساليب مناقشاتنا وان كنا بمجموعنا نستطيع التملص من شهواتنا ومعمياتنا فلا شك ان نخبة منا تستطيع التخلص قدر الامكان . واذن فخير لنا ان نترك هـذه النخبة وشأنها ، وان تفسح لها السبيل غير متدخلين لعرقلة مساعيهـا والضغط عليها بشتى التأثيرات واذا كان من واجب السواد الاعظم ترك الصفوة تعالج شؤوننا وتتجادل فيما يكون لنا فيه قسم من الخير فعلى الصفوة من جهة ثانية ان لا تتوخى ارضاء الجهل والرجعية وان تعتمد الاساليب العلمية والمنطقية في جدلها ، متنزهـة نفسها عن كل غرض وعن كل نزوة قـدر المستطاع . ويجب ان تسود مناظراتها روح التسامح والتساهل لا في العقائد والمبادئ بل نحو الاشخاص . فنتعلم درساً بليغاً من الاخصام في البلدان الحرة هؤلاء الاخصام الذين يحسنون التفريق غالباً بين الفكرة والشخص ، فلا يحاربون فلاناً لانه فلان بل لانه رمز لفكرة معينة .

ولعلنا بعد مناظرة طويلة ، نلقي في سوقها بكل سلعنا العتيقة والجديدة ، وما انتجناه واستوردناه مستعرضين محاسنها ومساوئها ، مغربلين منهـا ما يستحق الغربلة ، متلفين ما يستحق الاتلاف ، نستطيع ان نحتفظ لانفسنا وللاجيال المقبلة بصفوة الغربال . واذا كان لا بد لنا من أن نحتدم في هذه السوق ، وان تهب علينا من حين الى حين عاصفة ، تخلط بين مـا فوق الغربال وما تحته ، فاي بأس ؟ او ليس خيراً لنا ان نلتقط جزءاً مهما يصغر من الحبـات الدسام ، بدلا مـن ان نبقى دون حـراك ، يطمرنا الخبيث والطيب ، وكثيراً ما يطغي الخبيث على الطيب ، ونحن قانعون لاهون ؟

نعم ، لعلنا بعد مناظرات تتلوها مناظرات ، نتوق الى اشادة صرح مكين واحد للتفاهم ، في جو نقي صحي ، نركن اليه ، ونصمد لغدرات الزمان .

محمد النقاش

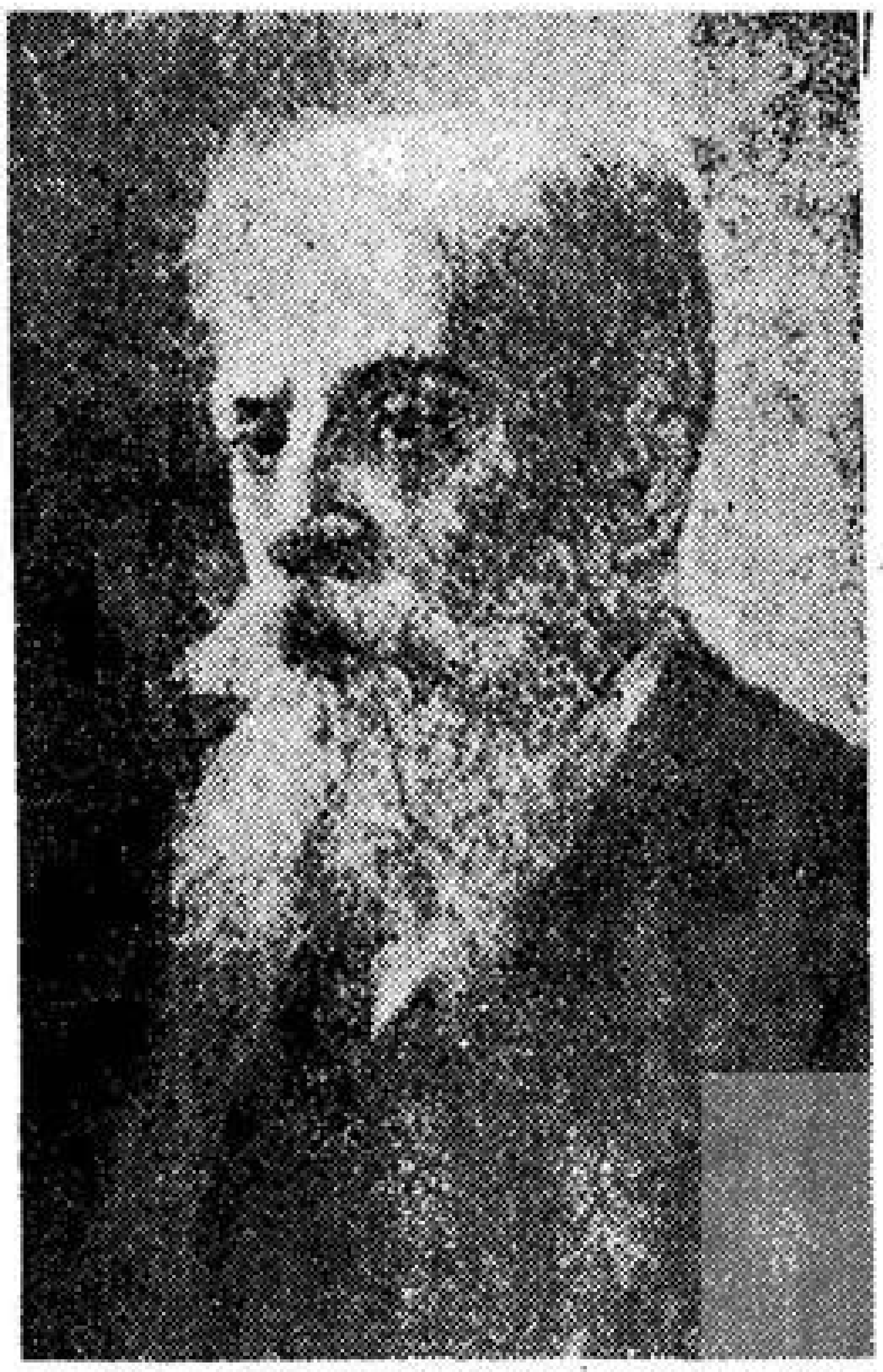
# مونه سوللي في دور اورست باندروماك

قال مونه سوللي قبل وفاته باربع سنوات يتحدث الى الاديب الفرنسي بول رينال : وكنت في نحو العشرين من عمري ، وكنت اقطن برجراك مسقط رأسي ، عندما الهمت ان انخرط في سلك المشخصين ظناً مني ان هذه الحرفة هي اجمل الحرف على الاطلاق . وما كدت افاتح والدتي بالامر حتى رأيت الذعر يرتسم على وجهها وكادت تختنق من الالم . فعدلت وتعاطيت امراً لم يلائم مزاجي . وبعد سنتين قالت لي والدتي اذهب الى باريس اذا شئت واسلك الطريق الذي تحب فلا حق لي في ان احول عما تدعى اليه . ولكن تذكر دائماً انك تحمل اسماً شريفاً فحافظ عليه . » فقلت لامي في نزوة بالغة من الفرح : « اني اعدك بان اصبح مليونيراً وانال اوسمة

ودخل مونه سوللي الى الكونسرفاتوار وخرج منه بشهادة لا بأس بها . وبهذه الشهادة تعاقد مع ادارة مسرح الاوديون . وكان في السابعة والعشرين من عمره . ومنذ ذلك الحين بدأت مصاعب الحياة ومظالم القدر . فما كاد مونه سوللي ينخرط في سلك الممثلين في الاوديون حتى خلق دوراً عقد عليه املا كبيراً . ولكن سوء البخت حالفه في تلك المسرحية حتى اوشك على اليأس .

وجاءت حرب السبعين فأدى واجبه كجندي ولما استتب السلام عاد الى حياته المضطربة وحاول ان يعود الى الاوديون ، ولكنه لم ينجح قال : « كانت امي مصيبة فقد ضللت الطريق حين تركت برجراك الى باريس . »

كان مونه سوللي على وشك ان يقنط من النجاح ، عندما دخل على استاذه بريسان في مقصورته بالكوميدي فرانسيز ، فقال له هذا الاخير : ولقد جئت في وقتك يا مونه . كان بودي ان اكتب اليك ولكني اجهل عنوانك . فنحن بحاجة الى ممثل فهل لك ان تبدأ عندنا ؟ » فصمت مونه مدهوشاً لا يصدق ما يسمع . وصفوة القول رضي مونه الاشتغال في الكوميدي فرانسيز .. ووقع الاتفاق . وفي الرابع من تموز ١٨٧٢ استهل مونه سوللي حياته الجديدة بتمثيل دور اورست في اندروماك لراسين واحرز فوزاً لا عهد بمثله . وكان اسمه مجهولا . حالما ظهر مونه في الفصل الاول عاين النظارة الجمال والعذوبة على وجهه ، وحالما تكلم نفذ الى القلوب بروعة صوته . سوى ان التشخيص كان يشكو من بعض المبالغة في الايماء ، ولكن النظارة قابلوا هذه المبالغة بعطف فلم يسكتوا عن التصفيق وعن الهتاف احياناً .



مونه سوللي

اما في الفصل الثالث فكان امر مونه غيره في الفصلين السابقين . فلما اخذ اورست يعرب لبيلاد عن عذابه وغضبه وحقده بعد اهمال هرميون له وهزء بيروس به سكب مونه سوللي في هذه الابيات المشبعة بالالم من القوة ما قامت له القاعة وقعدت . وكانت فترة من الزمن لن ينساها التاريخ المسرحي . وبعد مرور اربعين سنة ، اي في الرابع من تموز عام ١٩١٢ ، شاءت الكوميدي فرانسيز ان تحتفل بهذه الذكرى ليعيد مونه سوللي تمثيل دور اورست في اندروماك فغصت القاعة حتى امتلأت الاروقة بالواقفين . ولما رفع الستار وظهر مونه سوللي عليه مساحيق الشباب ، وهم بان يتكلم توقف فجأة في عاصفة من التصفيق والهتاف . وطال الهتاف حتى انطفأت الابتسامة على وجهه وحتى بلغ به التأثر مبلغاً تمددت له قسمات وجهه وانخفضت اهدابه وتهدلت زاويتا شفتيه . وبالرغم من زين الشباب المستعارة بدت عليه شيخوخة السبعين سنة النبيلة . والواقع ان مونه سوللي كان نسيج وحده في فنه ، وقد طاف روسيا واميركا واحرز من الشهرة وذيوع الصيت ما لم يحرزه احد قبله ولا بعده . ففي احدى الليالي خيل اليه انه حقاً اوديب الملك فتجاوز قدرته نفسها شيئاً يتمزق وانه يوشك على الموت . والحقيقة انه تمنى في تلك الاونة ان يموت ... ليس في رجال المسرح من اوتي كمونه سوللي القدرة على نسيان نفسه . وقد قال هو نفسه انه يتفق له في حياته المسرحية ان ينسى شخصيته الا سبع مرات او ثماني وانه كلما صعد الى الخشبة سعى جهده لان ينسى نفسه .

# فردريك نيتشه ودين القوة

بقلم
الدكتور نقولا فياض

●

**لقد** شبَّه بعضهم المذاهب الفلسفية بالازياء العصرية ، وهذا التشبيه على ما فيه من قلة الاحترام اذا قابلنا بين الهدف الاسمى الذي ترمي اليه الفلسفة وهي الحقائق الخالدة ، وما تمثل الازياء من اباطيل العالم الزائلة ، لا يخلو من الحقيقة لاننا نرى الفلسفة تتبدل كالثياب والقبعات وربطات العنق . ذلك لان الانسان مطبوع على حب الجديد والرغبة في التنقل . فترى كل جيل يسعى الى معارضة الجيل السابق وكل فرد يحاول ان يتخذ مكانه تحت الشمس فينكر اقوال من تقدمه ويثور على افكار السلف وعاداته واذواقه منزلا عن العروش الهتها ليقيم بدلا منها هياكل اخرى .

بالامس جاء شوبنهور فصور الحياة في اسوء مظاهرها واشدها ظلاماً وأبعدها يأساً . وطلع علينا تولستوي يحمل غصن الزيتون ويبشر بديانة الانسانية المتألمة وهي كلمات كانت لها روعتها عندما قيلت للمرة الاولى، صادرة عن ضمير حي واحترام صادق . اما اليوم فقد اصبحت تردد على كل لسان بحكم العادة دون اخلاص او اقتناع . وبعد شوبنهور وتولستوي لفت انظار الناس في العالم القديم والجديد تعاليم سترنر ونيتشه وهي تناقض كل المناقضة ما ألفوه ولقد كان المعروف عن الفلسفة انها محبة الحكمة فجاء ستزنر ونيتشه يجردان الحكمة من الآداب والاخلاق ، وبينما الناس تردد مع الشاعر العربي :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت     فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

نسمع صوتاً جديداً يقول : « ان الآداب فكرة حمقاء ، وان الشعب المتعلق باخلاقه قاصر العقل قليل الابداع عاجز عن الرقي . وان الشهوات وحب التمتع بالملاذ دون الرجوع الى نداء الضمير او الشعور بوخزاته هي التربة الصالحة التي تنمو فيها انصع زهرات الفكر » وقد جاءت هذه الفلسفة مطابقة لاميال الكثيرين فصادفت مرعى خصباً في نفوسهم وسرت حركة جديدة ضد الدين وضد الآداب وضد الاجتماع . لكي نفهم حقيقة فلسفة نيتشه علينا ان نتكلم اولا عن سترنر ، وستزنر يرجع بنا الى فيلسوف الماني آخر سبقه في هذه الطريق هو هجل . كان هجل يقول : لا يوجد دين بل اديان ، لا يوجد مبادىء بل وقائع ، لا يوجد آداب بل عادات . فتلقى تلاميذه هذا الكلام كسيف ذي حدين وتمادوا في استعماله هادمين التقاليد الكنسية والعقائد الدينية ، وبعد ان كان الانسان ظل الله على الارض صار الله ظل الانسان في السماء . حينئذ ظهر ستزنر فحطم صنم الانسانية وبدل منه عبادة الانانية المطلقة في كتابه « الوحيد وملكه » ثم جاء نتشه فحصر هذه الانانية في الانسان الاسمى أي السوبرمان .

وقد حاول ستزنر بمنطق لا يخلو من الاناقة في التعبير ان يبرهن ان ما نسميه انسانية ، غير موجود وانه ليس على المرء ان يخضع لما هو خارج عنه سواء أكان الهياً أم بشرياً ، وانه لا حقوق الا حقوق الفرد ، وان ما ألفناه واتخذناه كآيات منزلة مثل الادب والفضيلة وعظمة الشعب وما شاكل، فكرة فرضت علينا واشربتها نفوسنا فصارت شغلنا الشاغل كالفكرة الراسخة في ذهن المجانين . وأي فرق بين مجنون يظن نفسه امبراطوراً او الهاً ورجل من الناس يتصور انه وجد على الارض ليلبي دعوة ربه فيكون مؤمناً او وطنياً او ذا فضيلة . هذه الفكرة الراسخة التي تحمل الانسان على احترام الحكومة او المعبد أو المجتمع هي في نظر ستزنر عفريت يتصدم الحياة، ولا يكون الانسان حراً الا اذا انكرها وطردها من رأسه وأبى الخضوع لها . وحريته لا تكون حقيقية الا اذا استخدمها من اجل ذاته وجعل من انا ، الالف والياء أي بداية كل شيء ونهايته . حتى اذا ما قطع كل الصلات الاجتماعية أمكنه ان يقول كما قالت احدى بطلات كورنيل عندما سئلت بعد قتلها اولادها ماذا يبقى لك فاجابت يبقى انا ، انا وحسبي .

« انا » أي محبة الذات في اقصى حدودها وأسمى ذرواتها، وكل عوامل الآداب والأخلاق التي شغلت البشرية وضغطت عليها طوال العصور ليست الا اوهاماً ، وباسم هذه الاوهام كان الحكام والزعماء والمربون يسيطرون على العقول ويصرفون امور الناس كما يفعل مروضو الدببة فيرقصونها ويقفزونها على نغم المزمار . فاذا تحرر « انا » فقد تخلص من القفز والرقص .

ان ستريز لا ينكر الشعائر الانسانية ولكنه يجردهـا من صفة الواجب . اسمعوه يقول : « انا لا اعرف قانوناً . احب الانسان لان ذلك يروق لي ، اما ان اضحي نفسي له فتلك فكرة لا تخطر في رأسي ابداً . احبه لاني بالحب استطيع الوصول الى ما اريد . والعشق نفسه اذا قبلت بحكمه وتركت لسهام الالحاظ سبيلاً الى قلبي فلان ذلك ضرب من حب الذات . اني اشفق على كل ذي احساس فاتألم لالمه وافرح لسروره، فانا قادر على قتله براحة ضمير ولكن لا على تعذيبه . انا لا اتعلق بشيء . وغاية ما اطلب ان اعيش لنفسي واتمتع بما اريد كما اريد . كل ما يمكنني الاستيلاء عليه هو ملكي وكل الوسائل حلال في هذه السبيل : الاقناع الرجاء والاكرام والكذب والخداع والرياء . القوة وحدها تخلق الحق . ماذا يهمني مصلحة الآخرين ، فمصلحتي اريد . والحرية لا تكون الا بمحبة الذات . » اسمعوه يقول ايضاً : « اذا رأى الكلب كلباً آخر يتلهى بعظمة ولم يهجم عليه لينتزعها منه فلانه شاعر بعجزه عن ذلك . اما الانسان فيحترم حق سواه بعظمة . وهذا ما يقال له الانسانية ، واذا اعتدي عليه نسبوه الى التوحش وحب الذات . دعوني من حديث العدالة والخير العـام . ان حب الذات وحده قائدي ودليلي وهو يقول لي استولي على ما انت في حاجة اليه . »

هكذا ينكر ستريز الواجبات الاجتماعية ولا يعترف الا بالمصلحة الذاتية . واليوم كم من الذين ينفرون من هذه التعاليم ويستفظعونها في الظاهر ، واذا خلوا الى انفسهم قالوا : انا معك يا ستريز . وهل كان اكثر المحتكرين والمضاربين الذين يمتصون دماء الفقير الا من هذه الطبقة ؟ لقد اقام ستريز سلطان الانانية على انقاض كل سلطة الهية او بشرية . وما نيرون عند حرقه روما بتلذذ ، ومـا لويس الرابع عشر عندما صاح « المملكة انا » الا كالبعوض ازاء هذا المعلم في احدى مدارس برلين الذي ينادي من كوخه الحقير : الكون انا .

لا حاجة بي الى نقد مزاعم هذا الفيلسوف، فاذا كان اساسها حب الذات فلا احد ينكر ان حب الذات اساس الاجتماع . وما خرج الانسان من ظلمة الوحشية وارتقى في سلم العمران الا على ضوء هذه العاطفة . فحب الذات شرعة طبيعية بل هي الشرعة الاولى . وجودها واجب ونافع على شرط ان لا تتجاوز حدود الاعتدال والحكمة فتفسد وينقلب نفعهـا الى ضرر لانه كما يقول برونيتيار لا حق لاحد ان يدعي السلطة الكاملة على ما يعمله او يفتكر به لانه لاحد يختص بنفسه دون المجتمع فهو مدين له في الماضي ومحتاج اليه في الحاضر . ينسى ستريز ان لحياة البشر شرائع طبيعية وان الممالك لم تقم على فكرة راسخة كما يدعي بل على غريزة البقاء . فالانسان حيوان اجتماعي لا يستطيع ان يعيش وحيداً بل عليه ان يرضي محبة ذاته ويرضي محبة ذات الآخرين ولو اراد الواحد منا ان يحقق ادعاءات ستريز لعارضته الوقائع ووقفت الحقائق سداً في وجهه ولو اراد ستريز نفسه الذي كان رجلاً هادئاً مسالماً ان يجرب بالعمل مـا يقول لمنعته شرطة برلين واعادته الى الحقيقة والواقع، فتعاليم ستريز ليست شيئاً في نظر الفيلسوف ولكن لها اهميتها في نظر المؤرخ، لانه لم يكن بين الذين حاولوا هدم العرش والهيكل من اتباع هجل من استطاع مثله ان يحتج ابلغ احتجاج على النظام القهري الخانق الذي كانت عليه بروسيـا في منتصف القرن الماضي . وما ذكرت لكم آراءه الا لانها كما قلت تساعدنا على فهم نيتشه وتفسير مذهبه .

لم اجد كاتباً حطم بمعول فلسفته اصنام العقائد وانزل الالهة عن عروشها لينتصب مكانها الهاً في عقول الناس مثل نيتشه . ولا ادري اكان الجنون الذي انتهى اليه فأوقف حركة عقله قبل ان تقف حركة جسده نتيجة هذا الاجهاد والجهاد مع ما عرف عنه من افراطه في استعمال المخدرات وغرامه الشديد بالموسيقى ، ام هي ضريبة لازب لما بين العبقرية والجنون من النسب المزعوم ؟ على كل حال فان غرابة اطواره وميله الى الوحدة وغضبه الدائم على معاصريه من حملة الاقلام وكبرياءه الفائقة الحد امور تحمل على الشك في انه كان موفور الصحة خالياً من شائبة المرض .

فضلاً عن ذلك فهناك تناقض تام بين الرجل والمؤلف ، فان دعة اخلاقه ولطف معشره وتعلق تلاميذه به وحب النساء له على الرغم مما كان يكيل لهن من الشتائم في كتاباته ، لا يتفق مع ثورة الفكر والقلم التي صفع بها جميع المبادىء القائم عليها نظام الاجتماع . لقد كان نيتشه اعدى عدو لهذا الاجتماع المماوه نفاقاً كما كان جان جاك روسو من قبـله ، وكما نادى روسو بالعودة الى الطبيعة والسليقة نادى بها هو ايضاً ، مع هذا الفرق بين الاثنين ان روسو كان من عامة الشعب في عالم ارستوقراطي ونيتشه ارستوقراطي الروح الى ابعد حد في عالم اخذت الديموقراطية التي تنبأ عنها روسو تتحقق فيه .

لقد استولى على عرش كبريائه ، ومن ذروة هذا العرش ارسل حكمه على البشر فقسم الناس الى فئتين وجعل بينهما هاوية سحيقة . فئة النبلاء وهم القلة ــ ولا يعني بالنبلاء تلك الطبقة المعروفة بقدم العهد او الالقاب او غير ذلك من الامتيازات بل اصحـاب الارادة

والعمل والاطماع الذين خلقوا للامارة والحكم والابداع ــ وفئة القطيع البشرى الكثير العدد اسير العبودية ، عبودية التقاليد والحقد والحسد ، والبغضاء الكل سابق او متفوق • كل ما هو سام وعظيم في العلم لا يصدر في اعتقاده الا عن هذه الفئة القليلة من الاشراف • وبالعكس اذا كان السلطان للعبيد فان اعمالهم لا تأتي بغير السافل والدنيء كما في الديموقراطيات حيث تغلب الكمية على الكيفية ويتحكم النعاج بالاسود •

فالمذهب الارستوقراطي، مذهب نيتشه، يزعم ان الرقي يقوم على تنازع الطبقات اكثر منه على تنازع البقاء، اي بفوز الرجال العظام قادة الشعوب الذين يسكبون في عروق الامم دماً جديداً واذا فتكون غاية الانسانية انتاج رجال عظام وتضحية الجماهير في سبيلهم • والمذهب الديموقراطي وهو مذهب تولستوي ايضاً يقول ان الذي يكتب التاريخ هم الجماعات واما تلك القلة التي تدعي الزعامة فضررها اكثر من نفعها ، وعليه فغاية الانسانية تضحية الفرد للجماعة لا الجماعة للفرد ، ومعنى ذلك سلطة الشعب والتصويت العام فالاشتراكية • وبما ان الرقي عمل اجتماعي فلا يجوز حصر فوائده في الاقلية بل يجب ان يتمتع بها جميع الناس •

ان نيتشه لا يعترف بشرعة ادبية واحدة للبشر بل عنده ادبان ، ادب للجبابرة وادب للاقزام ، ادب للسادة وادب للعبيد • فالرحمة والاحسان والامر بالمعروف وحب القريب وسائر الفضائل التي تتغنى بها الجماعات شر في عرفه ، ولا صلاح ولا فضيلة الا في القوة والشدة والتحكم ، تلك هي صفات الاشراف او علية القوم التي لا تعرف من الواجبات الا اطلاق العنان لغرائزها فتكون حليتها حب الذات والتجرد عن كل ما يسميه عامة الناس ادباً •

اسمعوه يقول : « محبة الذات لا تختص الا بمن كان شريف الروح اي ذلك الذي عنده، ايمان لا يتزعزع بانه فوق الناس وله يجب ان تخضع وتضحي سائر الناس فهو خارج عن نطاق الخير والشر •

فالرجل الاسمى او السوبرمان هو الذي لا دين له ولا وطن ولا اسرة • ولا قيمة للشرائع الادبية عنده الا بقدر ما تسمح له ان يكون السيد المطاع •

هذه المبادىء الغريبة التي تمتاز بها تعاليم نيتشه تكاد تكون فطرية فيه ، فقد شهر الحرب على العرش والهيكل وهو في الثالثة عشرة من عمره فلم يجد في النصرانية الا دين رق واستعباد لانها بتعظيمها الزهد والرحمة والوداعة ونكران الذات قد جزت اشرف غرائز الانسان وبدلت منها فضائل كاذبة ، وحولت العالم الى مستشفى كبير ليس فيه سوى مرضى وممرضين مع ان الواجب الاول على الانسان ان يكون صحيح الجسم •

ولم يكن عدوانه للحكم الديموقراطي باقل من عدوانه للكنيسة ، فهو يرى في الحكومات ويلا على المدنية الا اذا استلم مقاليدها رجل ظالم وبسط دكتاتوريته عليها •

ولا يكفي الانعتاق من نير الدين والحكم ليستحق الرجل الاسمي هذا اللقب ، بل عليه التخلص من نير المرأة ايضاً • ان دليلة المحتالة تقلق بال نيتشه ولهذا فهو يحتقر الزواج ويفضل ان تعامل المرأة على الطريقة الشرقية ــ كذا يقول ــ فلا يطلب من هذا الجنس الخائن الذي يخفي براثنه تحت قفاز مخملي سوى اللذة والنسل الجميل • وابغض النساء اليه المترجلات اللاتي يطمعن بالتصدر في المجالس ويدعين البطولة كمدام تيل ومدام رولاند وجورج ساند •

وهو لا يحترم من المفكرين والكتبة الا من عرف ان يصور حياة عصره ، مثل مكيافيلي وستاندل ودوستيويفسكي اما الفلاسفة وعلماء النظريات فلا مقام لهم عنده فينسب الخمول لداروين والرياء الى « كانت » والتسميم الى « سبينوزا » •

ويعجب بعصر الوحشية والقوة • ومن هذا الاعجاب يشتق كرهه للعصر الحاضر عصر الكسل والرفاهة وعصر التقهقر الادبي والفسيولوجي الذي يسمح للضعفاء بالحياة والتوالد مما يؤدي الى اضعاف النسل الانكليزي •

اما ناموس القوة الذي بشر به فقد قدمه الى الناس في كتاب جعله انجيل او توراة الجبابرة • هكذا زرازوسترا •

فهذا الكتاب الغريب الذي هو شبه توراة للجبابرة استعار فيه الاله زرازوسترا ليلقننا شرعة الاقوياء ويقربنا من حقيقة الانسان المتفوق على الانسانية • ولا احاول الا جولة صغيرة في هذا الكتاب الضخم المتشعب المسالك الغامض الابحاث الكثير الرموز لتلخيص ما يرمي اليه من تحقيق هذه الفكرة الهائلة السامية التي ترفع الانانية الى درجة التقديس فيقر فيها ستيرنر ومن كتب قبل ستيرنر هذا في

الموضوع هادمـاً من اجلها المبادىء الادبية ، محطماً الواح الوصايا التي تدير نظام الاجتماع جاعلاً الخير غير الخير والشر غير الشر ، مبيحاً السرقة ، مشجعاً على القسوة ، منكراً صحة كل شيء ، معترفاً بجواز كل شيء ، ما خلا الضعف مهما يكن في هذا الضعف من بوادر الصلاح او الطلاح .

على انه اذا جردنا زارازوسترا من حلته الشرقية واخرجناه من جمال الاطار الذي يخلعه عليه البحر والجبل وذلك الخيال الشعري البعيد المدى لم نجد في هذه التعاليم ما يبدو للوهلة الاولى من جدتها وغرابتها بل ظهرت لنا في حلة مستعارة وسمعنا من خلالها صدى اصوات فلاسفة اخرين من افلاطون الذي كان يريـد في جمهوريته طبقة من الاشراف ابطال الحروب الى مكيافيلي الذي يرى في الديانة الوثنية تمجيداً للعظمة والهيبة والقوة ، الى دى ميستر الذي ينادي بالدم وضرورة الحروب للاتيان بعظيم الاعمال . وقديماً قال الشاعر العربي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى      حتى يراق على جوانبه الدم

وهذه القسوة الفائقة التي يبشر بها نيتشه وهذه الثورة على العادات والتقاليد والآداب الاجتماعية التي ينادي بهـا نجدها تحت اقلام الكثيرين من الكتبة والشعراء كشلر وبيرون وبلزاك وستاندال ، ولكن احق الناس بان يكون مصدر وحيه هو شوبنهور غير ان شوبنهور يتفوق عنه عند الاستنتاج ، اذ يلجأ الى الزهد ملقياً نفسه في احضان النرفانا نظير بوذا ، وما النرفانا سوى الغيبوبة عن هذا العالم في سبيل الخلاص الابدي .

ان ما يمتاز به كتاب نيتشه هو جمعه بين النقيض ليجتذب اليه الناس ويبعدهم عنه في آن واحد يجذبهم اليه بما فيه من كراهة الكذب والنفاق ومحاربة ضعفاء العزيمة والارادة والالحاح في استعمال الشدة والقسوة نحو ذاتنا ونحو سوانا ، فهو يتطلب جيلاً قوياً ونسلاً جميلاً ولا يرى للحياة معنى ان لم يتفجر من صخرتها العمل العظيم والابداع فيخال لنا في حالة الوهن والاضطراب التي تتخبط فيها الانسانية اليوم ، ان نيتشه يحمل في نفسه الام الحاضر كما يحمل امال المستقبل وهذا ما حببه الى الناشئة الطامحة وجعله عظيماً في عيونها . ويدفعنـا عنه بما يحاول من فصل الانسان عن الانسان وتقديسه الكبرياء والشر واحتقار الاخرين وحب الذات في اقصى حدوده . ولقد شبهوا فلسفة نيتشه بالسم الذي يفيد اذا اخذ جرعات صغيرة فقد يكون فيها علاج لداء العصر المتفشي من يأس وسوداء وملل من الحياة . أليس هو القائل : « يجب ان نستيقظ كل صباح وفينا من الارادة فوق ما لنا بالامس ، علينا ان نعرف العالم كي نحاربه ، فلنحب الحقيقة وما فيها من شناعة وخبث رائحة ومصاعب واخطار ولنخلع عنا اليأس ولنقصر الشكوى والانين ولنقو على اخفاء الالم ولنهرب من الشفقة كما نهرب من العار ، ولنجعل قلوبنا قاسية قساوة الماس . غير ان هذا العلاج لم يشف داء العصر المستحكم بل بدل مركز الثقل فيه وحول ضعف الشبيبة ويأسها الى صلف وغرور وربما دفع البعض الى ارتكاب الاثام . على ان نيتشه ينكر هؤلاء التـلاميذ في ضلالهم ، بل يأبى ان يكون له اتباع ، لان الاتباع يدخلون في عداد القطيع اي العبيد ، وعلى كل فرد ان يستقل في نظره وخبرته فيفهم العالم كما يريد .

لقد اراد نيتشه ان ينظم قصيدة الشدة والبطولة فجاءت ابياتها ملأى بالنقائض ، ومن خلال آياته وحكمه واناشيده وصوره كانت طريقة كثيرة الالتواء والمنعرجات فهو ينهي عن الرحمة ويأمر بها . ويمنع الالم ويمتدح مزاياه . لا يكره التوراة والانجيل لما فيهما من العطف على الضعفاء ويعجب بها لما فيها من حب الانتقام : « عين بعين وسن بسن » هذا من آداب السادة . واما من يلطمك على خدك الايمن فادر له الايسر فهو من ادب العبيد . وينكر الصداقة على المرأة ويشبهها بالهر ويتخذها صديقة له . ويوصي بالحب لتحسين النسل ويطلب جلد المرأة بالسياط ، ينهي عن الواجب ويأمر بالطاعة فيحمل على الحكومات حملة شعواء لانها تخدم الفضوليين الدخلاء على الحياة ثم يقول اكرم السلطة ولو كانت عرجاء الى آخر ما هنالك من الوصايا المتناقضة الجائرة بين معناها الظاهر ومعناها الخفي . وجملة القول ان نيتشه يحملنا على اجهاد الفكر ويمشي بنا على شفير الهاوية او فوق قمم خطرة فلا يطبق القاري كتابه الا وقد اصابه دوار وصـار كمن يتلمس طريقه للهبوط من هذا العلو الشاهق الى صعيد الحياة .

هذا هو نيتشه رسول القوة لقد كان في حياته شاعراً مغرماً بالموسيقى وبنات الافكار والاناقة الارستوقراطية وكان لطيف المعشر محبوباً رقيق الشعور شديد الاحساس ولكنه كثير الاحلام فجاءت فلسفته نتيجة لاحلامه وخياله اكثر مما لاخـلاقه حتى انتهت به الى الجنون . والغريب ان جنونه كان مبنياً على هذيان الاضطهاد والعظمة فظن نفسه لازرازوسترا بل المسيح على الجلجلة . هذا الاله الذي حاربه لانه اله المستعبدين اصبح غاية مناه واقصى مشتهاه وربما كان ذلك يقظة الغيبوبة بالعودة الى ايمانه القديم لان والد نيتشه كان قسيساً .

**نقولا فياض**

# يا صوتها

◆

ياصوتها ، يا زغردات الجدول
وهمة العصفور بالتنقل
تطوف في الخاطر بي اصداؤه
كذكريات القبلات الاول
تحنانه الدمعة في انسكابها
ووقعه رجع اغاني البلبل

•

يا صوتها ، نفديك من ايامنا
بالامس ، بالحاضر ، بالمستقبل
غنّ بنا الدنيا ، فيا طيب ما
نغنم من غناك ، او ما نجتلي
غنّ فتنهلّ المنى عوالماً
يغيب فيها ازلٌ في ازل
وتغرس الحلم ، رضيّ المجتنى ،
على جبين المرتجى المؤمل

•

غنّ . نودّ العمر الاّ ينقضي
وسكرة الغناء الاّ تنجلي

يوسف الخال

# الادب التركي الحديث

بقلم غنطوس الرامي

قـد يوحي الادب التركي الحديث منهلين اثنين : فهو شرقي بالفطرة ، وغربي بالروح والخيـال والثقافة والفن . وادباء الجيل الجاري ، الترك ، انعتقوا تماماً ، في مـا ينتجون من كل زخارف الادب الشرقي ، على جلالها وجمالها ، واصبحت حساسيتهم تتلمس كل ما هو غربي .

والادباء المحدثون الترك ولجوا ابوابا ، كانت الى نصف قرن ، محكمة الاقفـال على الادب التركي ، كالقصة والمسرحيـة ، « والمحاولات » .

ولقد درجت القصة الى الادب التركي، في اواسط القرن التاسع عشر ، بخطى متعثرة ، على اقلام كتاب كان يشك كثيراً في قدرتهم على سلوك طريق القصة الكثيرة الملتويات .

وكذلك كان حال المسرحية مع الادباء الاتراك في عهد كان الادب الغربي نفسه ينفح الادب العالمي بأهزل المسرحيات . اما « المحاولات » فلم يتعرف اليها الادب التركي ، الا حديثاً مع فالح رفقي الذي حلق بهذا النوع من الادب العذب الخصب الى مرتبة كان يتطلع اليها اناطول فرانس بعـين الاثرة . والشعر في الادب التركي كان اداة الانتقال بين العهدين القديم والحديث . ولاغرابة، والشعر ، في كل ادب ، عنصر فعال في كل توجيه وانتقال . اما النثر فلم يكن فيه ، لاقلام الكتاب الترك جولات تذكر ، حتى الربع الاول من القرن التاسع عشر . فالمؤرخون والمدونون واصحاب المذكرات والبحوث العلمية والفلسفية كانوا يجدون في الادب المنثور نوعاً جافاً مستقلا لا تمسحه اية مسحة جميلة مما هو ممسوح به الشعر . واذا كانت تجول في بال اديب فكرة طريفة كان يأبى الا التعبير عنها شعراً . وهكذا كان الادب التركي ، الى قرن فات ، خلياً من ناثرين مرموقين ، ازاء ما كان يتمتع به شعراؤه من سعة انطلاق .

وانبلج فجر النهضة الادبية الحقيقية الملموسة عند الترك، سنة ١٩٠٨ ، مع صفوة كتاب عرفوا باسم « فجر الغد » . ودشنت هذه الصفوة حركتها المبروكة بالشعر والقصة . وبالشعر والقصـة طلق ادباء « فجر الغد » الترك المحدثون، تقاليد الادب التركي السالف. وطلع عليهم احمد هاشم بالرمزية ضاربا على وتر هنري رينيه. وكان تأثير احمد هاشم في الادب الطالع بليغاً . فقد نشأت معه وبعـده حركة رمزية حلوة شاملة. على ان هاشما ظل بعيداً عن ان يجارى. وهو برفيع ثقافته وفريد اسلوبه ودقة احساسه يبقى المتفرد باروع صفحات التاريخ الادبي التركي الحديث ... وبعد هـذه اللمحة الخاطفـة عن الادب التركي الحديث وبلوغ باب الموضوع الذي ساحاول ولوجه مع القـارىء — وهو الشعر التركي الحديث دون سواه — سوف لا انتحي في هذا الصدد منحى التحليل او النقد ، او دراسة تطورات الشعر التركي على مدى اجيال غابرة ، بـل اكتفي بفتح كتيب ضمت دفتاه اروع ما طـاله الخيـال التركي ، شعراً . وبنقل بعض المنظومات التركية الى العربية ، تاركا للقارىء موضوع تذوق وتحليل ونقد الشعر التركي .

لنفتح اولا صفحة :

## احمد هاشم

توفي احمد هاشم في حزيران ١٩٣٣ عن ٤٧ عاماً . وقد كان افضل واحب وانعم شعراء تركيا في الثلث الاول من القـرن العشرين . وقد كانت اولى منظوماته مصبوغة صبغة كلاسيكية . ولكن سرعان ما حوّل وجهه شطر درب ادت بـه الى اصفى ينابيع الرمزيه واعذبها .

اسمعه يقول في مقطوعته « **الساعة الاخيرة** »

« عند حلول الليل تشع المدن في الافق .

« تعصب الكآبة جبين الفرح ، دونما سبب .

« تخفت الاصوات . ويضطجع الحلم في القلب .

« وتعصف ريح الغضب هناك في الاعالي .

« يسعى الطير الى الدجنة .

« ويسري الليل بتؤدة فيضطرب وجه المياه المكفهر .

« الاشجار تبدو في غفوة . وموسيقى القلب تنفلت بميوعـة

من اعماق القلب ، كاشفة عن اكتئاب واسى .

« ووجه الحياة يصفو صفاء السماء .

« وينفذ سرب الذكريات الى النفس المحتجبة خلف الفستار .

« والشباب الذاهب يبكي الغد الفاجع .

« ويمتد جناح ساحر فوق الاشياء .

« بينا يهبط ، مع كآبة الشط ،

« ليل وداع في موكب نجوم . »

*

وفي مقطوعة « السلّم »

« ستصعدين في هذا السلم .

« تجررين وراءك نثار اوراق بلون الشمس .

« وتنظرين الى السماء من خلال دموعك .

« لقد اصفرت المياه . واصفر وجهك ايضاً .

« انظري الى الفلك الحمر . هوذا المساء يعود .

« الورود الحانية على الارض تقطر دماً ..

« هي لغة ساحرة تفهم القلب . لغة الاشياء .

« انظري الى الفلك الحمر . هو المساء يعود .

*

ومن مقطوعة « هذه المدينة »

« خلّي النسيم العليل

« الجاري من البحار يداعب شعرك .

« لو تعلمين

« كم انت جميلة في اكتئابك . وهذه العيون

« العالقة بالافق الداغش تندى اكتئاباً وحنيناً منفى

« لا انت ولا انا

« ولا هذا المساء المنهمر على جمالات جسمك ،

« ولا هذا البحر الازرق ،

« مرفأ آلام الروح ،

« اصدقاء قوم لا يحسون الكآبة .

« لست بنظر رجل اليوم

« سوى امرأة فتية

« ولستُ بعرفه سوى احمق ،

« فهذه الشهوة البائسة وهذه النظرة القذرة

« لا تستطيعان فهمنا ، لا انت ولا انا

« ولا ادراك معنى هذه الكآبة اللينة عند الغروب ،

« ولا انتفاضات البحر الراكد .

« انت وانا

« والبحر

« وهذا المساء الساكن الصامت ،

« الذي يتقبل بخور نفسك ،

« نحن جميعاً مبعدون عن مدينة خيالاتها زرق

« وباعدة

« محكوم علينا بالنفي الابدي الى هذا المكان

« هذه المدينة ،

« الممدودة في مطارح الحلم البكر ،

« مساء ازرق

« يغشاها

« والبحر عند قدميها

« يسكب هدأة النوم في النفوس .

« والنساء هنا جميلات ، بهيات ، نقيات ، يعشقن الليل ،

« والالم يكسر اهداب عيونهن جميعاً ،

« وهن شقيقات او حبيبات .

« ان قبلاتهن الممزوجة بالدموع

« وهذا الاستفهام الازرق الذي يطوق بالسؤال عيونهن

« كل هذه تعرف كيف تهدهد عذابات القلب لتغفو في اعماقه ..

« هذه المدينة

« في اية بقعة تنطرح ؟

« واي نهر يطوّقها ؟

« اهي حقيقة ام خيال ،

« ام هي ملجأ الحلم الشارد ؟

« لا اعلم ولكن

« جل ما اعرف ، ان ، انت وانا والبحر الازرق ،

« وهذا المساء الذي يحرّك فيّ

« اوتار الالهام الكئيبة ،

« المبعدين عن مدينة خيالاتها زرق

« وباعدة ،

« محكوم علينا بالنفي الابدي الى هذا المكان . »

غطوس الرامي

# الاطعمة والاخلاق

بقلم الأمين العريب

في مثل هذه الايام من خريف ١٩٤٠ اتيح لي البحث في عدة امور تهم النساء . والامور التي تهم النساء متشعبة كثيرة الفروع لا ينضب معينها ما دام في الدنيا نساء ورجال وألسنة ومسامع .

وقد راقبت في هذه الايام ، ما تحب السيدات من الكلام . فاذا باقرب موضوع الى القلب وادناه من الحشاشة موضوع الاعاشة . على ان ما يريد الناس من الاعاشة ليس كلاماً ، بل طعاماً . فياليت لي خردلة من الايمان ، الذي ينقل الجبل من مكان الى مكان ، اذن لحولت بطيبة خاطر هذا الكلام الى طحين ، وارسلته الى المحتاجين . لكن ايماني ، استغفر الله ، قليل على ما يظهر . وفي الهند يقولون ان للطعام علاقة بالايمان من حيث الضعف والقوة . غير ان الاطباء الكرام ، جزاهم الله خيراً ، يؤكدون ان خير الطعام ، كخير الكلام ، ما قلّ ودلّ .

يؤثر عن المطران الكبير بطرس البستاني قوله لمحدثيه : « لو اكلتم قليلاً لأكلتم كثيراً » اي لطالت اعماركم وكثر مجموع ما تأكلون . والمطران بستاني رحمه الله ، كان خبيراً في الموضوع . فهو قد عاش ثمانين عاماً .

وفي الاحصاءات الشائعة ان التقشف لا يميت احداً . بعكس الشراهة . فهي ماهدة السبيل لمعظم الامراض ، ونافحة المقابر بسبعين في المئة من سكانها .

لكن الطعام ان ضرّنا الاكثار منه فلا بأس علينا في الكتابة عنه . وهو على كل حال موضوع شهي لا تكبر عليه مجالس السيدات ، ولا تبرم به نفوسهن . لان السيدات على ما زانهن الله به من تقشف ، وتعفف ، مستقلات في بلادنا بالطبخ وألوانه ، مستأثرات باتقانه ، قديرات بتنويع اشكاله ، على صحة الوطن ورجاله . فالطعام وسيلة العيش ، وهن مهيئاته . والطعام وحي الذوق ، وهن آياته . وكل امرأة كالملك الحارس في دارها . ساهرة على كبارها وصغارها ، يحافظ على سلامة ذويها ، وتبث فيهم النشاط والقوة . وبمقتضى بيانات العلم الحديث تستمد من الطعام الذي تهيئه لهم ثلاث مرات في اليوم ، قوة كيماوية تكيف طباعهم واخلاقهم وميولهم واهواءهم .

اما السيدة التي تظن ان مالها يغنيها عن دخول المطبخ وتفتخر بجهل اصول المطبخ فمسكينة بين النساء لانها تحرم نفسها ذلك التأثير العظيم في بيتها . ولن يلبث قرينها ان يعرض عنها ، متضجراً متأففاً منها . فقلوب الرجال مربوطة بمعدهم على ما يقال . ولا بد لجاهلة الطبخ ان تندم . ولات ساعة مندم .

في المنزل ثلاثة اماكن تحتلها المرأة بثلاث مزايا . فهي احق ما تكون في غرفة الزينة ، تحافظ على جمالها ، وهو رأس مالها . والبق ما تكون في الصالون ، تنشر على اصحابها ، عطر آدابها . وافضل ما تكون في المطبخ ، تؤدي اهم واجب عليها ، وهو اعاشة ذويها .

على ان المطبخ وحده عاصمة مملكتها ، والملكة التي تبعد عن عاصمتها ، تسقط عن اريكتها . ولها يقول الشاعر :

اعطيت ملكاً فلم تحسن سياسته    وكل من لا يسوس الملك يخلعه

قال الفرنسيون في امثالهم : قل لي من تعاشر اقل لك من انت . ولو قالوا : « قل لي ما تأكل اقل لك من انت » . لكانوا ايضاً صادقين . فقد اجمع العلماء الباحثون على ان اخلاق الناس وطباعهم تعود الى عوامل اهمها عصير مادي يتصه الجسم من طعامه اليومي . وبناء على هذا ، اذا التقيت غداً بشخصين وحييتهما فرد الاول بلطافة ، والاخر بخشونة ، كان اختلافهما نتيجة الاطعمة التي تناولاها امس .

وللدلالة على تأثير الطعام في الحالة النفسية ، يكفي ان نذكر الضنى الذي نشعر به بعد وقعة كبيرة من الطعام . فهو ينجلي عن توتر في الاعصاب ، وضيق في الصدر ، وانقباض في النفس . بينما الاكل الخفيف يدع الذهن صافياً والذاكرة مرهفة والنفس منشرحة .

يقول اساطين العلم الصحي ان الجسم يعرق في العمل الشاق فيخسر كثيراً من املاحه . وخسارة الاملاح تهد الحيل . فاذا شرب ماء مضافاً اليه قليل من ملح الطعام عوض خسارته واشتد حيله . وبعض الدول المحاربة اذا قطع جنودها مسافات مضنية ناولتهم مادة كيماوية تدعى تيوفوسفات الصوديوم فذهب التعب في الحال عنهم . والسمك البحري غذاء جيد للدماغ . لان فيه حامضاً فوصفورياً لا وجود له في السمك النهري . او تعلمون لماذا اختيرت شجرة التفاح في الفردوس الارضي لمعرفة الخير والشر ؟ لان الله سبحانه ، وهو رب الكيماويين ، وضع فيها الحامض الفوصفوري الذي يفيد الادمغة .

وجرب بعض الباحثين في مختبرات باريس انواعاً من الاطعمة في الفئران . فجعلوا الفأرة الام بعد تغذيتها بطعام خاص تفقد عاطفة الامومة والحنان على صغارها بالكلية . ثم اطعموها غذاء آخر فعاد حنانها الاول اليها .

قال احد العلماء المتخصصين في درس علاقة الاكل بالاخلاق ان الناس يولدون متساوين في الاستعدادات النفسية والجسدية . وانما يبدأ التفريق بينهم مع غذاء الطفولية . اما لماذا ينجح ابناء الفقر غالباً اكثر من ابناء الغنى فلان سوء التغذية ليس دائماً بلية الفقراء . بل يغلب ان يجني الاغنياء على اجسادهم واولادهم بشراهتهم في الولائم ، دون تمييز بين ما يلائم ولا يلائم . ورب مائدة فقيرة ذات اصناف يسيرة موفقة التنسيق جوهرية العناصر ، تفضل مائدة غنية بمواد غالية الثمن ولكن فقيرة الجوهر .

ان الطبيعة احتاطت لكل شيء ، فجعلت عناصر الصحة ميسورة للفقير كما للغني . ان الحظ الذي نشكو غالباً تهربه منا قد يوجد المال في الايدي . اما العقل في الرؤوس فليس الحظ يوجده بل هو في متناول الجميع .

اقول هذا مع ايماني الذي لا يتزعزع بان الفقر طبيعي في الحياة بل هو مرض اجتماعي في جسم الانسانية مكروبه الجهل والكسل . ان في الفقر شقاء لا يريده الله للناس ولا يُقرهم عليه لذلك اوصاهم بان يتداركوه .

ان الذكاء موهبة سماوية ، لكن الله لم يفاضل فيها بل يسرها للجميع . اما لماذا هذا يكون ذكياً وذاك ابله . فاسمعوا الجواب على ذلك من لجنة من علماء منيسوتا احدى الولايات المتحدة ، قامت بامتحانات دقيقة بين اولاد المدارس خلال اربع سنوات ، فقالت : « ان العوامل المؤثرة في الذكاء ثلاثة : الوراثة والتغذية والمحيط .

اشتهر متشنيكوف استاذ معهد بستور في باريس باكتشافاته العلمية ونظرياته الجديدة ، وبحث كثيراً في الشيخوخة والهرم واستنتج ان اكل السكر يحفظ الشباب بل يعيده الى فاقديه ولو دب فيهم الخرف . فيجدر اذن بكل سيدة ، اكل الدهر عليها وشرب ، ان تلجأ فوراً الى السكر . فدرهم منه في الفم خير من عشرة دراهم ابيض واحمر على الوجنتين . بل يجدر بجمعيات السيدات ان تطالب بالتشديد على محتكري السكر مراعاة لما لهن فيه من مصلحة جوهرية

ولعمري ليس في هذه الاكتشافات العلمية عن تأثير الطعام في النفوس الا تأييد لعقائد قديمة شائعة عند بعض الشعوب . فعلماء الهند يؤكدون ان لبعض الاطعمة اثراً بالغاً في الصلاح والتقوى . وقد ذهب مرة امير جهالوار الهندي الى لندن فألقى وزيره العالم محاضرة على جمهور من ابة الانكليز ، قال فيها ان وجود طبقات متفاوتة في الهند يعود الى اختلاف الاطعمة التي يأكلونها . فاللحوم هناك للمحاربين فقط . والنبات لمن يريدون ان تكون نفوسهم طاهرة نقية . اما المنبوذون فلا تبيح لهم تقاليد الهند الا المآكل التي لا خير فيها . ومما قال ايضاً ان اكل البصل ينشر على النفس غشاء قاتماً .

جاء في الامثال الانكليزية : ان ما فيه دسم لواحد قد يكون فيه سم لآخر . فحبذا لو تقتني مدارس البنات ، خصوصاً لتعليم امهات ، الغد ما بين فن الطبخ وعلم الكيمياء ، من علاقة متينة ، فتصير سيدة المطبخ عالمة بالعناصر الجوهرية التي تنطوي المأكولات عليها واحتياجات الجسوم المختلفة منها . فلا تكتفي بتهيئة اللذيذ من الطعام ، بل تنظر الى الجواهر الضرورية لئلا تطعم ذويها عشرة ألوان في الاسبوع مختلفة شكلاً ومتساوية جوهراً . فيبقى الجسم جائعاً الى بعض العناصر المفقودة ومتخماً بعناصر لا يحتاج الى هذا القدر منها .

ان الاصل في الطعام ليس لذته ، بل فائدته . وانما اللذة وسيلة لترغيب الفم فيه كي يبعثه الى الاحشاء . فتستفيد من تحليله . فراقبي ايتها السيدة العاقلة تأثير طبخك في طباع اسرتك . لان الطباع السيئة دليل سوء التغذية ، وهي غالباً اعراض لاختلالات وامراض ناتجة كما قلنا ، عما اكلنا . ولو باحثت طبيب العائلة المخلص في مزايا الاطعمة المألوفة لأحسنت الى الاخلاق لما اتقنت مراعاة الاذواق .

امين الغريب

# ارنست رينان

بقلم الياس ابو شبكه



ارنست رينان

في الشرق لم تولد الديانات فحسب بل ولد الشعر ايضاً ، فالشرق هو موطن موسى وهوميروس والفردوسي ، وهو ملعب جميع الملاحم الكبرى التي شرفت القلب والعقل ، فالشرق هو مسرح الالياذة وملاحم التوراة وكتاب الملوك كما هو مسرح الفردوس المفقود واورشليم المنقذة واللوزيادة . وللشرق

مفتنة خفية ما برحت تجذب اليه الشعراء والفلاسفة والمستنيرين من مختلف بقاع الارض . وقد يكون القرن التاسع عشر اشهر العصور التي جذبت شعراء اوربا وفلاسفتها الى الشرق . ولقد كان شاتوبريان اول من افتتح زحف العباقرة الى مهبط الانبياء ، ومن رحلته الى اليونان وفلسطين ومصر جاء برائعتين هما « الرحلة » و « الشهداء » .

وعقبه لامرتين فزار آسيا الصغرى وسوريا ولبنان وفلسطين ، ومن هذه الرحلة المشهورة جاء بلحمة « سقوط ملاك » او « آلهة لبنان » وبكتابه الثمين « رحلة الى الشرق » . اما فيكتور هوغو فقد تغنى بالشرق كما يتغنى المهاجر بوطنه البعيد ، ففي ديوانه « الشرقيات » روائع حب وحنين ، وعطور والوان . ولم يكتف الشاعر الانكليزي بيرون بان تغنى باليونان بل حارب من اجلها ومات . وكثيرون هم الذين غرفوا من منابع الشرق واشهرهم بعد شاتوبريان وبيرون ولامرتين ، فوانى وجيرارده نرفال وفلوبير وبيير لوتي وموريس باريس ورينان .

وكان احرى بي ان اذكر اسم رينان قبل لوتي وباريس لانه اقدم عهداً منهما ، على اني ما اخرته الا ليسهل علي تناوله بمناسبة الذكرى الخمسين لوفاته . وكان احرى بي ايضاً ان اتكلم عن اقامة رينان بالشرق لا سيما اني اقيم انا بدوري بجوار نهر ادونيس ، على مقربة من عمشيت ، البلدة الوادعة التي آثرها الفيلسوف على سواها من بقاع لبنان والتي خيل يوماً الى الرئيس هريو انه لا يزال رينان وشقيقته هنرييت ينحدران منها في ضوء القمر ويتسلقان جبل غزير تملأهما غمرة من السحر تبخر من بقعة هي من اروع مفاتن العالم .

سوى اني رأيت ان ارجىء حديثي في زيارة رينان للشرق الى العام ١٩٦٠ . فبعد ثماني عشرة سنة — والف عام في نظرك يا رب كامس الذي عبر — تتم مئة سنة على اقامة رينان بين ظهرانينا .

ولا شك في ان لبنان سيحتفل بهذه الذكرى واكون في عداد المساهمين فيها ، فاحدثكم عن المهمة الاثرية التي جاء الينا لاتمامها، وعن الفلسفة التي استوحاها من تربتنا وسمائها ، وعن صلته ببعض وجوه هذا البلد ، وعن وفائه لاصدقائه اللبنانيين الذين احبوه واحبهم وبقي يراسلهم ويهاديهم الى آخر ايامه . وفي جملة هداياه النفيسة نسخة ممتازة من كتابه « مصادر النصرانية » اهداها الى صديقه رزق الله خضرا من قرية صربا . وقد بيعت هذه النسخة بثلاثة آلاف فرنك واهديت الى السيد بيو ، المفوض السامي الاسبق ، قبيل عودته الى فرنسا .

اما اليوم فسأحدثكم عن رينان كفيلسوف سياسي تأثر في بادىء الامر بالفلاسفة الالمان واعجب بالفكرة الالمانية الى حد عظيم ثم انهارت احلامه عقب اعلان المانيا الحرب على فرنسا في العام ١٨٧٠ وتحول من مادح الى منند ، ومن قائل بسيادة بروسيا الثقافية الى متكهن بانقراضها .

دخل رينان الى الفردوس الثقافي الجرماني من طريق درسه الفلاسفة الالمان ، امثال كنت وفيشت وهيجل وهردر ، وقراءته الشعراء الالمان كغوتي الذي بهره وسحره . ولم يكتف رينان باطرائه المستنيرين من الالمان بل تجاوز ذلك الى احترامه الفضائل البروسيانية الاقطاعية في السياسة والاجتماع ، ذلك ان جهده التفكيري كان منحصراً في تأمل الماضي اكثر منه في تأمل المستقبل .
سوى ان اعجاب رينان بالمانيا لم يكن عبودية فما لبثت فكرته الفلسفية ان تحررت تدريجاً من النفوذ الجرماني . ولما صار الى مرحلة النضج من حياته لم يبق في نفسه من اولئك الفلاسفة والشعراء الذين احبهم الا اثنان هما هردر وغوتي .

وفي الخامس عشر من ايلول ١٨٧٠ عقد في « مجلة العالمين » مقالا جاء فيه : « ان اكبر شرور بروسيا هي العجرفة والكبرياء ... وان يكن غوتي يمثل اسمى فضائل المانيا المستنيرة فلأنه ليس بروسيانياً . »

ويعطف رينان على الديموقراطية التي كان يشك فيها فيقول : « ان الديموقراطية لا تريد الحرب وسيكون رقيّ الديموقراطية خاتمة سلطان اولئك الرجال الحديديين الذين شهدهم زماننا ينبثقون من من احشاء العالم الجرماني القديم . ولقد سبق لي ان نبهت الى بعض الاخطاء التي ارتكبتها الديموقراطية ، ولكن اذا كانت الديموقراطية تعمل على انقاذ الجنس البشري من اولئك الذين يقتلون ملايين الناس لاجل اطماعهم الباطلة واحقادهم الدنيئة فسيكون لها ملء رضاي وشكري .. »

ويقول رينان شاجبا مذهب العنصرية الذي لا يرجع عهده الى هتلر : « ان سياستنا هي سياسة حقوق الشعوب ، اما السياسة الالمانية فهي سياسة العناصر . »

ومنذ ذلك الحين تجرد للدفاع عن حقوق الفكر وصيانتها من وباء العنصرية . وتطورت عقيدة رينان وظلت تتطور حتى استحال الى ديموقراطي صرف . ولكنه لم ينحط بديموقراطيته بل رفعها الى مستوى الارستوقراطية الصحيحة ، اريستوقراطية القلب والفكر . وفي جملة الروائع التي وضعها هذا الفيلسوف لتأييد حقوق الشعوب واظهار فضائل الديموقراطية ، مسرحية « كاليبان » التي استوحاها من مسرحية « العاصفة » للشاعر الانكليزي شكسبير . وقبل ان اعرض لمسرحية رينان لا اجد بداً من التحدث قليلاً عن مسرحية شكسبير .

تلخص هذه المسرحية السحرية في ان انطونيو يطرد اخاه بروسبيرو دوق ميلانو ، من ولاياته ، ويساعده في ذلك الونزو ، ملك نابولي . فيهيم بروسبيرو وابنته ميراندا على نفسها في جزيرة قفراء . ولا يعتم الامر ان يتمكن بروسبيرو ، بالعلوم السحرية التي يجيدها ، من استدراج الارواح الى خدمته ، وبينها « اريال » وهو روح الأثير اللطيف ، و « كاليبان » وهو روح الارض الثقيل . وبأمر من بروسبيرو ، ينفخ اريال في الجو فتهب عاصفة هائلة تقذف الى الى الجزيرة الونزو وافراد حاشيته العائدين من تونس ، فيغتبط بروسبيرو بهذا الصنيع الجميل ويثني كثيراً على اريال . سوى ان اريال الذي لا يعبأ كثيراً بعالم البشر لا يتمنى الا امراً واحداً وهو ان يطلق سراحه ، ان تعاد اليه حريته . ولكن اريال لا يستطيع استرجاع حريته ما لم يقم بالمهمة التي كلفه اياها بروسبيرو ، وهي ان يحضر الى الجزيرة فرديناند ابن الملك الونزو . وكان بروسبيرو يريد ان يزوجه من ابنته ميراندا .

واذ يذهب اريال يدخل كاليبان على بروسبيرو ساخطاً مجدفاً . فقد اوجب عليه بروسبيرو ان يجمع حطباً للتدفئة وان يقوم بعمل شاق . قال : « هذه الجزيرة التي استوليت عليها هي ملكي ورثتها عن امي سيكوراكس . في الايام الاولى لقدومك كنت تلاطفني وتكرمني ، حتى اذا هديتك الى جميع موارد الجزيرة ، الى الينابيع العذبة وشقوق الماء المالح ، الى البقاع الخصبة والبقاع القاحلة ، نبذتني وقضيت علي ان اقيم بشق من هذا الصخر . الا

فلتسقط عليك جميع الضفادع والخفافيش والخنافس والصراصير ، وليتخبأ فيك كل ما في الجزيرة من البراغيث . »

وقد شاء بعضهم ان يرى في كاليبان صورة الشعب الذي ينتزع منه ارباب الحيل والاغنياء والحاذقون من الناس الحقوق التي اكتسبها بقوته وجهده . والواقع ان كاليبان في مسرحية شكسبير غيره في مسرحية رينان ، فهو يمثل الغرائز الغليظة التي يستطيع الروح ان يلطف حدتها بتهاويله وما اوتيه من ضروب الرقي والسحر .

واذ ينصرف كاليبان الى عمله ، يعود اريال وقد اتم مهمته وجاء بفرديناند . فلا تكاد تراه ميراندا حتى تحبه . ولا يكاد يراها حتى يحبها . سوى ان بروسبيرو يخفي فرحه وغبطته حيال هذا الحب الذي تمناه في قلبه . ويقضي على فرديناند ان يجمع الحطب ككاليبان وان يشقى مثله . فتنسل ميراندا الى الغاب وتتوسل الى فرديناند ان يسمح لها بجمع الحطب مكانه . ثم تقول له كما قالت جولييت لروميو انها تريد ان تكون زوجة له ، واذا ابى فخادمة . ولا يعتم الامر ان يتحقق حلم الحبيبة فيتم الاتحاد كما شاء بروسبيرو . ثم يغفر هذا الاخير لجميع من اساء اليه ويعود الى ولاياته .

وقد اراد شكسبير بهذا الغفران ان يفهم الناس ان العفو وكبر النفس هما انجع وسائل التربية الدولية وان الحكيم لا يقنط من بذر الحكمة في الناس .

اما « كاليبان » رينان فمأساة سياسية تختلف عن مأساة شكسبير . فبروسبيرو عند رينان يمثل الحكومة الارستوقراطية ، ولكن الاريستوقراطية ليست بما تواضع عليه العرف بل هي ارستوقراطية العلماء والمستنيرين . اما كاليبان فيمثل الشعب . فقد تصور رينان ان بروسبيرو يعود بعد العاصفة الى عرشه صاحباً معه اريال و كاليبان . واذ يحاول اريال ان يثبت لكاليبان ان كل الفضل يعود الى بروسبيرو وان بروسبيرو هو الذي خلق الحضارة ولولاه لبقي كاليبان وحشاً مفترساً ، يعترض هذا الاخير بقوله : « ولكن بروسبيرو يستثمرني . افلا ترى انه من الظلم ان يقدم امرؤ على استثمار امرئ آخر ؟ » .

ويأخذ كاليبان على بروسبيرو انه سطا عليه بضروب من السحر اي بتصاوير خاطئة . قال : « لقد خدعنا ، وليس آلم في النفس من الخداع . »

ويمثل الفصل الثاني من مأساة « كاليبان » مهرجاناً اقامه بروسبيرو في حديقة قصر ميلانو ولم يدع اليه طبقة الشعب ، فيقول كاليبان في نفسه : « فيم لم ادع الى هذه الحفلة ؟ اليست الحقوق متساوية بين جميع الناس . ؟ » ثم يحث الشعب على الثورة قائلاً له انه يذهب ضحية الاستثمار . فيقول احد سامعيه : « انه بشع ولكنه ينطق حقاً . . » ويقول آخر : « ان كاليبان هذا حسن المنطق ، فمن اين جاء ؟ انه يحب الشعب . »

ويهتف الجميع : ليحيي كاليبان ! ويهاجمون القصر ويستولون عليه . ولا يكاد كاليبان يقبض على زمام السلطة حتى ترتفع اصوات المتذمرين مطالبة برفع الضرائب والقضاء على ارباب الرساميل . فيدرك كاليبان عندئذ مقدار المصاعب التي كان يقاسيها سالفه ، فيقول للمتذمرين : « ضعوا مصالحكم بين ايدينا فالحكومة لا تنظر الا لما فيه خير الشعب ، منكم ولكم . ولكن النظام ضروري فأخلدوا اليه . . » فتهتف له الجماهير وتنصرف راضية .

واذ يختلي كاليبان بنفسه ويتمدد على فراشه يستغرب في الدهشة لكونه قد تحول بسرعة هائلة من متهوس الى معتدل قال : « الحق ان الانسان ينضج بسرعة حين يتولى زمام الحكم . . »

وماذا يقع بعد كل ثورة ظافرة ؟ عندما يعتدل الزعماء وينتهي الى بروسبيرو ان رجاله واحظياءه انفسهم بدأوا يلقبون كاليبان بـ « المواطن الكبير » و « منقذ المجتمع » فيسخط سخطاً عظيماً ويحاول المقاومة فيعهد الى اريال بان يعالج الوحش بالطلاسم وضروب السحر . ولكن لا يعتم الامر ان يعود اليه اريال مغلوباً ويقول له : « لم يبق لفننا اية قدرة يا مولاي ، فالشعب صار يفهم كل شيء . وحيثما يستطيع كاليبان كل شيء لا نستطيع نحن شيئاً » « فيستغرق بروسبيرو في التفكير ثم يخلص هو ايضاً الى الاعتراف بكاليبان . .

وهكذا رفع الكاتب كاليبان الذي يمثل الشعب الى مستوى بروسبيرو الذي يمثل الاريستوقراطية ، اريستوقراطية العلماء والمستنيرين . ولا ريب في ان قصد رينان من مأساته هو ان واجب المفكرين وهم الطبقة الاريستوقراطية الصحيحة — ان يهذبوا المجتمع ، حتى اذا اصبح المجتمع في المستوى المرموق من الرقي حق له الحكم ، وعندئذ لا يبقى للاقلية المستنيرة الا ان تنضم الى الاكثرية المستنيرة كما انضم بروسبيرو الى كاليبان !

الياس ابو شبكه

# قضاها لغيري

بقلم محمد حاج حسين
ليسانسيه آداب من جامعة فؤاد الاول

ضجر مني الضجر ، وعافتني الكآبة ، وحتى الشقاء مجّني وازورّ عني : الشقاء الذي استعذبه ، وافزع اليه ، ليصهرني في بوتقته ، واصبحت كالصخرة الصماء ، لا حسّ ولا وعي ، لا غاية اهدف اليها ، ولا بصيص أمل يلوح في الافق القصي ، فيبدد الحلكات التي تجهم خياتي ، وتزق كياني .

الناس فرحون ، يستمتعون بمباهج الصيف ، في انضر بقعة حالمة ، في رأس البر ، المستلقية بفتور واطمئنان ، فوق دمياط ، المدينة المصرية الصناعية النشطة ، يحضنها النيل السعيد ، ويمد ذراعيه يداعبها في بهجة وحنان ، ويرمقها البحر بعينيه المترعتين ، فيرسل على شطآنها امواجه الباسمة ، تهدد لها اغاريد تنفجر بالروعة يمتطيها الحسان السابحات ، يقفزن على متنها برشاقة ودلال .. فكأنها شبه جزيرة ، تطوقها المياه من جهاتها الثلاث ، وتفتح لها دمياط حضنها الرخي ، من الجهة الرابعة ، تلثمها وتباركها .. وتهب نسمات ناعشات ، جافة ، تستروح لعبقها النفس ، وتجد فيها لذة مجنحة .. تدفع بها الى دنيا تتوهج بالشعر والحب والضياء ..

الناس في فرحتهم وهزجهم ، يغدون ويروحون ، من عششهم الى البحر ، يمرحون وينعمون ، وانا في اسى دامٍ ، وتعاسة كاوية اتهالك على جسمي النحيل ، واتداعى على روحي الذبيحة ، لاادري ما ذا اريد ، وما سر حالتي البائسة ..

كنت في العشرين من عمري ، لا اتطلع كغيري ، الى الدنيا من ناحيتها المشرقة ، ولا تجول في صدري الامال التي تخفق في امثالي من الشباب الذين يخالون الطريق معبدة ، مفروشة بالورد بل كان اليأس الكالح يعمر فؤادي ، اليأس من الحياة ذاتها ، والتشوف الى الرسول المنقذ : الموت .. ولم يتضح لي السبب في بؤسي ، الذي نجم بدون سبب ، ألم مرنح ، ليس له دواء ، ولعل قراءتي الدائبة لبيرون وغيره ممن جرى على نمطه ، زاد في توتر اعصابي وارهاف احساسي ، فاصبحت متفززة ، تحطم حياتي ..

وفي ضحوة سلطت عليها الشمس أشعتها المحرقة ، تهالكت في سيري ، من العشة التي كنت لا أبرحها الا بالندرة ، ووجهتي البحر اسبح على شاطئه ، وانعم بمائه .. والهب حدقتي ، على الشاطيء ، مرأى السابحات من الحسان ، يصرخن ويقفزن ويصخبن باغراء ، وهن يمتطين الامواج ، التي تتزلق على اجسادهن الضامرات ، الموشعة باشعة الشمس ، وقد صبغتها بلون قرمزي ، بهي الفتنة .

وحاولت النكوص على عقبي ، فقد شعرت بخجل ، عند ما رأيت اجساد الفتيان الاماليد ، والصحة الفياضة التي تترقرق بها ، ان اعرض جسمي الهزيل ، الذي ضوي ، وانكمش منطوياً على نفسه ، حتى انه يكاد لايرى ، ولكن بعض اصدقائي عزموا علي بالسباحة ، فانصعت لرغبتهم متردداً ، واجماً ، وما احسست برودة الماء حتى رحت اداعب الموج ، واسبح بحذاقة ، وعربدت في نفسي الحان مسلوى ، التي كنت اتلمسها فتفر مني .

وفي غمرة الجذل التي تكتنفني ، ترامى الى مسمعي صوت ذاعر ، فاحصر نظراتي واصبها ، فأرى فتاة تصرخ وتندب ، وتشير الى نقطة معينة في البحر ، وتزعق : اختي .. ميمي .. غرقت . واندفعت حتى صاقبت المكان ، وطفقت انساب بخفة تحت الموج ، وانتفضت على ظهر الماء برشاقة ، وقد استقرت عليّ الطفلة الوديعة ، اضمها ككنز ثمين ، احرص عليه ، وخرجت الى الشاطيء مع مظاهر الاعجاب والهتاف ..



وتقدمت نحوي الفتاة ، ومدت يدها تصافحني وتربت يدي ، وتتلعثم في شكرها ، وتتدحرج الالفاظ عذبة متقطعة من فمها الصغير ، وقد توردت وجنتاها . واصعد فيها نظراتي : لقد كانت بلباسها البحرى البنفسجي ، آية غلابة ، وفي سمرتها التي لفحتها الشمس الضحوك ، روعة ، وحاة ، وقد تدلى شعرها الفاحم على اكتافها ، بفوضى ، وتتناثر خصله المبللة على جبهتها الوضيئة .

واعادت هذه القولة مرات : اشكرك .. يا منقذ اختي ..

وتمتمت : عفواً .. ويرتج علي : لقد وهبها الله عينين واسعتين سوداوين ، تبعثان اشعاعاً فاتكاً ، وليس في الدنيا اروع من العيون المصرية ، المراضى .. فهي تلهب الجوانح ، وتدفع نحو السماء .. ولما ابت الى عشتي ، شعرت بالوان حلوة تنتظم في نفسي وبدبيب يقظة ، جديدة ، تتناهبني ، وخفق فؤادي يضرب بشدة ، وحاولت ان أجعله يتئد فلم افلح ، فان حيرتها وخجلها وحزنها الذي شابه الفرح ، تنتصب لماحة امامي ، تساورني ، يا الهي ، أحتى هذا الحب يسد عليّ المسالك ؟ .

واحتواني ليل رهيب ، ضرير النجم ، كان طيفها لا يبارحني ، وخيالها نصب عيوني ، وكلما حاولت صده ، كان يتسرب بأيد ودفع الى اعماقي . أهي العصفورة التي تصدح في قلبي المصروح ؟ اتكون

المنية التي اسعى اليها ؟ أاحبها ؟ هذه الاسئلة ، واضرابها ، كانت تخزني ولا اجد لها الجواب الشافي .. ولما انفجر عمود الصباح ، خرجت اتنشق نسمات رأس البر ، المشرقات ، التي تبعث الحنين في الروح والاحساس، واتجهت صوب الكازينو وجلست على نضدلوحدي، وطلبت الخمر وشرعت احسوها، علني اجد في سائلها السحري الغيبوبة، واذود طيفها عني فارتاح . ودبت النشوة في رأسي، ولكنها لا تزال عالقة في ذهني اتمثلها واتخيلها .. ورحت اترشف الخمـر بكثرة عساي اتوصل الى مبتغاي ، فانساها .. والصدف دائما تنسج خيوطها في الغيب لتحكم الامور وفق ما تروم ، فقد لمحتهـا بثوب ابيض شفاف ، ينسجم على جسدها المشيق ، تخطر في المقهى وتجلس بين رفيقات لها ، ولما لمحتني رأيتها تخطر نحوي فوجف قلبي .

ووقفت اجلالا لها حين دنت مني ، وافقدتني الخمرة كل وعي فصافحتها بحرارة وانا اقول : اهلًا وسهلًا .. كيف انت يا درية، ونطقت باسمها مجرداً فلم اعقبه بكلمة آنسة ، فقد رفعت الكلفة وتمالكت وعيي ، فتمتمت عفواً ، يا آنسة ..

وكأنها شعرت بارتباكي، فتبسمت عن اسنان نضيدة واجابت

— لا تزعج نفسك ، نحن اصدقاء ..

— اشكرك .

وبعد هنيهة ارتفع صوتها العـذب يقول : حياة اختي ميمي مدينة لك يا منير ، فكم وفرت علينا من الفواجع ، ولو ابتلعها اليم في جوفه ، لتحولت حياتنا الى ظلام دامس ..

وكرعت الكأس ، ولذاذة تميد بي وهززت رأسي قائلًا : عفواً يا آنسة لم اقم باي عمل يستحق الاطراء ، فسعادتي لا حد لها بمعرفتك .. وهتفت بلهجة آمرة : ولمَ تسرف في شرب الخمرة ؟

— لأنسى اوصابي ، والاشي وجودي .

— وما هي اوصابك ؟ — لا اعلم .

— الخمرة تهصر شبابك ، وتكسر جسمك الضاوي ، الاترى، كيف تدق وتنحل حتى تكاد تذوب ، وفجأة ، سحبت الكأس من يدي ، ونحته ناحية اخرى ، وزوت ما بين حاجبيها ، وتراءت لي في غضبتها ، شعاع هادىء ، ينير ايامي المظلمة وقالت بصوتها التياه الناهي : لا اريد ان تشرب . وصعقت ، وهممت : كما تشائين يا درية .. وتشقق الحديث ، وتشعبت ألوانه ، ولما اخذت عيناي رؤية خاتم ماسي ثمين ، يتوهج في انملتها ، سألتها ما هـذا الخاتم يا درية ؟ . فـأجابت باقتضاب : خاتم الخطبة .. وخطفت صفرة شاحبة على وجنتيها ذات الغمازتين البديعتين ، اللتين ترتسمان كلما بسمت .. وشعرت بضيق يجثم عليّ وقلت : او مخطوبـة انت ؟

— اجل ، لابن خالي .. وتناثرت الآمال التي داعبتني ، اتكون درية لغيري ؟ كان الظمأ الذي لا يرتوي يستبد بي ، وعند مرآها ، بدت لي انها الينبوع الذي ارتوي منه .

ولما قابلت درية على الشاطىء ، للمرة الثانية ، جلسنا تحت مظلتها ، وهبت انفاسها الشاذية ، تهيم على وجهي رأيت اصبعها عارية من الخاتم الذي قض مضجعي، وتجرأت على سؤالها : اين الخاتم؟ فحدقت اليّ طويلًا واجابت : نزعته ..

— ولم ؟ — لاني لا احب خطيبي الذي فرض عليّ ..

وساد صمت قصير ، قلت بعده : الزواج بلا حب كالزرع بلا ماء . وأحسست بفرحة قريرة لنفرتها من خطيبها ، واوشكت ان افاتحها بحديث الخافق الملتاح ، الذي لا يني عن حبها ، ولكني لم استطع ، فتخاذلت وتهاويت . وتتابعت مواعدنا وتلاحقت لقاآتنا الى ان خرجنا في ليل تراقصت في سمائه السافرة النجوم الزاهرة ، وغمر القمر بطاح رأس البر بنوره البنفسجي ، وهبت نسمات مخدرات ، فمشينا الهوينى ننعم بسكينة الكون حتى جلسنـا على الرمال الوعثاء ، ينام علينا ضوء القمر وقالت درية : منير ، حقًا ان الليلة فاتنة . فأجبت : درية يا نفحة الله على اهـابي ، كتمت حبي .. واصارحك اني اعبدك .. ولمعت عيناها ، والتقت شفاهنا بقبلة لاهبة ، استفقت بعدها على عالم من الحب والنور وقلت : درية اني لاسعد مخلوق على البسيطة . وأجابت بسذاجة : منذ اللحظة الاولى ، مال قلبي اليك يا منير .. — ليوفقنا الله في زيجة سعيدة . ليسعدنا الله يا منير .. وختم الحب على نفسينا الوالهتين، ورحنا نقفـز على الشاطىء ممراحين ، ننعم بحديث طلي عن الغد الزاهي .. وتعرفت على اسرتها ، التي كانت تصطاف في رأس البر ، وتكررت مقابلاتنا نبث فيها النجوى اللاعجة والحـنين الذائب والحب الدفين ، واخبرتني بعزمها على التخلص من خطيبها ، لنتزوج فوراً ونحيا حيـاة الحب .

ولد حبنا في آخر الصيف ، وولدت معه من جديد ، فالضجر واليأس والعوامل الغريبة التي تنتابني ، تطايرت هبـاء منثوراً ، واصبحت حياتي ذات معنى مليئة بالامل . ولما آذن الصيف بالذهاب، وعزمت اسرة درية على الذهاب الى القـاهرة ، اعطتني درية ، عنوانها في شبرا لنلتقي .. ونتقاسم الهوى ، ولم أستطع البقاء بعدها طويلًا في رأس البر وقفلت عائداً الى القاهرة نشيطاً شديد المراس . ورأتنـا القاهرة في حدائقها الحادرة ، ننعم بالطلاقـة

والحب بلا رقيب او عذول ، والنيل الأغن ، بارك نزهاتنا المسائية على شواطئه وكلما التقينا طلبت من درية ان تعجل في التخلص من خطيبها لنتزوج بسرعة ، فتقاطعني وتطلب ان اتريث ، وندع المسألة حتى يأتي حينها ، ومرة وقد استلقت بغفوة هنيئة بين ذراعي ، هززتها برفق وقلت : درية يجب ان تنتهي هذا الاسبوع من خطيبك ؟ . وجحظت عيناها لكلماتي ونفرت ورنت الي تقول : واذا لم اتخلص هذا الاسبوع من خطيبي ... فدمدمت في لهجة ملؤها الحزم : اجل ، يجب ان تنتهي ، لتعقد خطوبتنا ويتم زواجنا ..

— اوتخال ان الامر يسير . — ليس فيه شيء من الصعوبة .

— حاولت كثيراً ان اتخلص منه ، ولكنه يتشبث . — كيف هذا ؟ — منذ ايام رأس البر ، صارحت والدتي بعزيمتي واخبرتها انه من المستحيل زواجي من خطيبي وتنمرت امي وصاحت بل ستتزوجينه ، ولما عدنا الى القاهرة صارحته اني اكرهه ولا استطيع الحياة معه ، فضحك ببلادة واجابني ، ولكنه يستطيع الحياة معي ويتدله في حبي ، وعبثاً توسلت اليه ان يقلع عن حبي ويذرني وشأني ولم يرعو فكأنه قد من جلمود .. ومسحت بمنديلها الحريري العرق الذي تصبب من جبهتها ، واعتمدت رأسها بين يديها ، وشرعت تنشج وتبكي .. وحرت في امرها وضممتها الى صدري ، اوزع عليها قبلاتي ، واخذت اضرع اليها ان تكف عن البكاء .

ودقت روحي دقة بالغة لجمالها الحزين ، فرحت امسح بكفي دموعها ، واحاول تهدئة روعها ، وقلت : درية ، انت حرة ، تزوجيه اذا شئت .. فرشقتني بنظرة قرأت فيها الغضب والازدراء ، واجابت : هل مللتني ، والتقيت بغيري ، فسبت لبك واحببتها .. فصحت أاقدر على جحود معبودي ، أانسى التي الهمتني ودفعتني الى الاوج ، واترعتني بالحياة الجياشة : انت يا درية النور الذي ابصر به ، والامل الذي احدو له .. وومضت على ثغرها الاحوى بسمة مرة ولم تحر جواباً .. فاطرقت صامتاً حائراً .. وعقدتنا لحظات رهيبات ، حلقت فيها ارواحنا الى مدى بعيد ، تطفر في اجواء حية ، تجيش بشتى الرؤى غير المنظورة . ووثبت درية تتكسر في مشيتها البارعة ، وودعتني بعد ان وعدتني انها ستتخلص من خطيبها ، وستصارحه بحبها لي ، ووثقت وعدها بقبلة طهورة ، شغفتني حباً .. وانتظرت مجيئها تتوزعني التخمينات ، وشعرت بنذير خفي يصرخ ان الهول ينتظرها ، ليقضي على هنائي .. ولم يكذبني حدسي ، فبعد يومين ، رأيت والدتها ، وكانت امرأة كريمة الاحساس فاضلة اؤثرها بالاحترام والتجلة : وقالت الام بلا مقدمة : اترغب يا منير في الزواج من ابنتي ؟ — هي مبتغاي وحلمي . — ولم تريد الزواج منها ؟ — لاني أحبها .. — وماذا يعني انك تحبها ؟؟ الا تعلم انها مخطوبة لابن اخي ..

— نعم اعرف . — اذن يجب ان تدعها وشأنها . — ولكني لا استطيع الحياة بدونها . — انت حر .. ولا يخالجك شك اني اؤثر ابن اخي عليك ، وهو ايضاً يحبها ، اتريدني ان احرمه حياته لاجلك .. — وماذا تريدين الان ؟ . — ان تنساها وتتركها ، وتخبرها انك لا تهواها ! . — اتريدين هذا ؟ — نعم اتوسل اليك باسمى شيء لديك ان تنزعها من تفكيرك وتريحنا من هوستها ، فهي قد تجرأت على مصارحتنا بانها تحبك وتريد الزواج منك . انت فتى شهم كريم ، والعذارى كثيرات فاختر لك منهن ماتريد .

— لتكن مشيئتك يا سيدتي . وتراءت لي حياة الذهول والشرود في الليالي من وكر الى اخر ، فتألمت وطابت نفسي اخيراً لها ، فعولت على دفعها عني لتكون لخطيبها ، وهتفت بمرارة : قضاها لغيري .. ولما التقيت بدرية اخبرتني انها على استعداد للهرب معي الى افق آخر ، نتزوج ونحيا الحياة اللذيذة ... وأطلقت ضحكة عريضة تملأ فمي وانا اقول : المجنونة انت يا درية ؟

واتسعت حدقتاها وهي تزعق : لماذا ؟ الا يروقك الحب .. والزواج ؟ . — اوتخالين يا درية اني احبك .. وصرخت بدهشة : ماذا تقول ؟ . وتعالى ضحكي : ما احببتك ابداً .. كنت اهزأ منك ، ولست الا ألهية ازجي بها فراغي .. — اسكت يامجرم .

— هي الحقيقة بعينها . امعتوه انا لاتزوج ، واضع السلاسل الشائكة تصفدني ..

— منير .. منير ! ورأيت الرعب يجول في عينيها ، والصفرة تتمشى في وجهها ، واغمضت عينيها ، وصرت باسنانها ، واردفت : درية ، تزوجي من خطيبك ، فلقد مججتك ، وعلقت غيرك ، الهو بها ، حتى اذا مللتها ، بحثت عن اخرى .. وانتصبت واقفة ، ورشقتني بنظرة فيها التأنيب والاحتقار .. واستدارت وقالت : نذل .. وخرجت ، لا تلوي على شيء .. وشيعتها بعبرات انبجست من قلبي الطعين ، المفجوع بها .. لقد تزوجت من خطيبها بعد اسبوع .. لتخلف لي حسرات تلازمني مدى الحياة ، وحسبت ان في حياة التشرد سلوى ومتاعاً ، لتنبثق منها الف لذة ، تسليني اياها . ولكني كنت مخدوعاً واهماً ..

محمد حاج حسين — اللاذقية

# ينابيع الادب

بقلم رئيف خوري

**قال** لي احد الاصدقاء : ارى كأن الادب قد انقطعت مصادره وجفت ينابيعه فما رأيك ؟ فقلت له : وما دليلك على ان الادب أفلس هـذا الافلاس ؟ ألعلك تقصد ان كثيرين من الادباء الذين تقرأهم لا تتمالك ان تحس منهم فراغاً ، ولا تستطيع الا ان تشعر بانقطاع الصلة بينك وبينهم ؛ انك ان كنت تعني ذلك فانت على صواب لا ينكر .

ثم قلت لنفسي : ليس هذا الرأي الذي بدر من صديق رأياً خاصاً به مقصوراً عليه ولكنه مذهب كثيرين ممن يتتبعون الادب واحواله ، فقد وجب اذن ان نقف عند هذا الرأي ولو وقفة معجلة . اما الادب اطلاقاً فلم يفلس ولن يفلس . هـذا امر بدهي . ولكن افلس الادباء – الادباء المقلدون المجترون لما لاكه غيرهم مرة ومرة ، الذين ليس لهم احساس باي العصور هم يعيشون ويكتبون وينظمون . الادب لم يفلس ولن يفلس لان الحياة التي هي امة عظيمة الثروة لم تفلس ولن تفلس ، لان الحياة ابداً ثديها درارة ، واعماقها متجددة ، وسطوحها متشربة مصطبغة بشتى الالوان . هي كالنهر الجاري . وقد قال حكيم : لا يمكنك ان تنظر الى النهر ذاته مرتين على التوالي . وهو قول صادق ، ما دامت مياه النهر في كر عاجل مستمر يسبق الطرف في تغيره وتجدده . ولكن ( وهنا السر ) قد تكون حياة اخصب واغنى من حياة ، فليست الحياة كلها على قدر واحد من الخصب والغنى ، فاي حياة تلك التي نستوحي منها ؟ هنالك حياة قاصرة على فرد ، حياة صرف انانية ، تلك لنفسها لا يمكنها ان تكون عظيمة الثروة . فالاديب الذي يعيش لذاته فقط ، الذي يغلق ابواب برجه العاجي ونوافذه دون حياة الآخرين ، لا تستطيع حياته ان تكون خصبة غنية بما تمارس وتختبر وتحس وتعقل . سرعان ما يجد هذا الاديب ذاته وليس لديه شيء يقوله من نفسه او عن نفسه ، اذا كانت نفسه منعزلة منسلخة عن نفوس الناس ، واذا لم يكن بينها وبين حياة الناس شرايين تصب فيها دماً جديداً ونشاطاً وحرارة . كم يستطيع انسان ان يتكلم عن نفسه – عن نفسه وحدها ؟ يقول : انا كئيب . يقول : انا مغتبط . يقول: انا عاشق! ثم ماذا؟ يشعر بالكلل والملل من هذا اللف والدوران الدائم حول نفسه، ويستهدف لكل مـا يستهدف له الذين يحصرون همهم في نفوسهم ، من ضروب الشذوذات الفكرية والامزجة السوداوية .

يجب ان لا نحقر من قيمة الدور الذي تمثله نفس الاديب في خلق ادبه . ولكن بئس صورة الاديب : الرتيلاء في زاوية مظلمة ، تمج لعابهـا ، وتنسج خيوطها الواهية ! ان الاديب لمقضي عليه بالفقر ان لم يجعل الصلة بين نفسه ونفوس الناس قوية متينة . حتى الناس ينبغي له ان يميز بينهم يجعل صلته قوية وثيقة . فالناس جماعات يختلف بعضهم عن بعض، وتختلف افكارهم وعواطفهم، وتختلف حيواتهم (اذا صح هذا الجمع للحياة) . هنالك جماعات شبعى متخمة . جماعات اصبحت لا تحس لمستقبل تؤانس فيه خلاصاً ، واصبحت لا تحلم احلاماً انسانية نيرة جميلة رحبة . وان كان لها من شهوة تشتهيها فدوام حالتها المنغمسة في النعمة والرفاهية . فهذه الجماعات اذا انبثق من خميرة حياتها ادب مخلص لها مثير لاعجابها ، فيكون على جملته ادباً مائعاً رخو الاعصاب ان قدر على شيء فعلى التسلية لا اقل ولا اكثر . ونحن نعرف نموذجاً من هذا الادب مشهوراً في العالم كله : ادب الجنسيات الاباحي ، ادب استفزاز الشهوات .

ولكن هنالك جماعات من الناس بعيدة عن الشبع والتخمة كل البعد . هي جماعات جائعة متعطشة ، في قلبها آمال ومطامح وثابة لم تخمدها اقذار القهر والبؤس . جماعات هي كتلة الشعب ! . وانها لجماعات تستطيع حياتها ان تكون مصدر ادب غض مشرق نابض بالاماني المرفرفة في الصدور ، مبشر بالمرفأ الجديد الذي سترسو فيه سفينة الحياة بعد ان رثت الحبال التي كانت تمسك بها في مرفأها القديم وانقطعت او كادت . اذن فبهذه الجماعات ينبغي للاديب ان يربط نفسه ربطاً عضوياً حيوياً . اذ ان هذه الجماعات وحدها لديها الاشواق التي يتغذى بها ، الاشواق التي لا تموت ولو تحققت ، بل تتولد معها اشواق اخرى في سلسلة مستمرة من الطي والنشر – مستمرة ما استمرت الحياة . وكثيرون من ادباء العالم قد ادركوا ان الافلاس نصيبهم المحقق ما لم يصلوا بين انفسهم ونفوس جماعاتهم الشعبية . وهؤلاء هم الادباء المنتصرون على الافلاس الذي نزل بغيرهم . ولا شك ان الاقطار العربية بدأت تشاهد طلائع ادباء الشعب فيها ، على انها طلائع مرتبكة الخطى . ويبدو أن اهم ما يعوز أدب هذه الفئة قدرة على التعبير الصحيح القوي ، وخروج على صيغ وقوالب يتقارضونها ويرددونها ترديداً متعباً مملاً . ولئن كان الهدف الذي اليه يتجهون ويوجهون واحداً ، فينبغي لهم ان يعلموا ان السبل الفنية اليه تتعدد وتتشعب فضروري اذن التفنن والابتكار في الصيغ والقوالب التي ان لم تكن الادب كله فهي جسده الذي به يتمثل ورونق طلعته ! واديب الشعب العربي المستحق لهذا الاسم يحمل في عنقه الواجبات العظمى في الفترة الانقلابية الحاضرة في العالم كله . ينبغي له ان يكون خالق الوعي القومي الصحيح ، محارب الاستعباد، مناوىء الاستثمار ، حافز روح الامل والنشاط ، مبلسم الجراح ، رابطة بلاده بالعالم ، حارس ضمير شعبه وتربيته الاجتماعية والسياسية من فساد المفسدين .

ولكن لا يزال في الاقطار العربية ادباء كثيرون متقاعسون على انفسهم ، يشعرون بكزازة في قرائحهم وبافلاس يستولي عليهم ، وهم لا ينتبهون الى ان الشعب وحياته ومقتضيات العصر هي وحدها المصادر والينابيع الخليقة برد الغنى والخصب والغزارة الى اقلامهم . ولعلهم كاولئك المسافرين الذين فرغت موموناتهم من الماء العذب وسفينتهم تائهة ، في عرض البحر ، في عباب الماء الملح . ثم دخلت السفينة بهم في نهر الامازون وهم لا يعلمون ، لعظم النهر ومداه فلبثوا يجاهدون العطش المحرق الى ان دنوا من الشاطىء ورأوا خلقاً فارسلوا اشارة بطلب الماء العذب وهم على حلاوة الروح والرمق الاخير . فجاءهم الجواب : القوا دلوكم حيث انتم فالماء عذب ! . ان ادباءنا المتقاعسين على انفسهم ، الشاعرين بالكزازة والافلاس ، والشعب وحياته والعصر ومقتضياته زواخر تزخر بالوحي القوي انما يحسنون صنعاً اذا القوا دلوهم حيثهم . فالماء عذب وغزير ! . كلا ، ان الادب لم يفلس ولن يفلس لان الحياة التي هي امة عظيمة الثروة لم تفلس ولن تفلس ! فالى الحياة ! الى الحياة ايها الادباء . وكم تعجبني كلمة قرأتها في موشح المرزباني لزهير بن ابي سلمى وقد استنجد به شاعر على شيء من الشعر فلم يسلس لهما عنان القريض ولا اسعدتهما القوافي ، فقال لصاحبه : اخرج بنا الى البرية فان الشعر بري ! والبرية في الجاهلية ، كانت هي الميدان الذي تنطلق فيه الحياة فكأن زهيراً قال لصاحبه : اخرج بنا نتنسم الحياة ونستأنس بها في المدى الطبيعي الذي تتمادى فيه ! والحق ان هذه القوة التي لا تزال نحسها في ادب الجاهليين على رغم العوامل التي تبعدنا عنه انما تنشأ من حقيقة اساسية هي : ان الادب الجاهلي كان ابناً للحياة . وقد يكون هذا الابن فظاً خشناً كما ان الام التي ولدته فظة خشنة ، ولكنه على كل حال ابن صادق البنوة لام صادقة الامومة ...

رئيف خوري – طرطوس

# من ذكريات الحرب الماضية

رأت « الاديب » في هذا المعمعان العالمي ان تنشر للذكرى والتاريخ قصيدتين اوحتها الحرب الكبرى الماضية الى شاعرين من كبار شعراء الحقبتين هما الاستاذ بشاره الخوري والدكتور نقولا فياض فعسى ان يجد فيها القراء بعض العزاء عن احتجاب شعر الملاحم في هذه الايام . ه

## قصيدة بشاره الخوري

◆

طلت يا ليليَ او لم تطلِ ... مثلك الفجر الذي سوف يلي
ايها الليل استطل مهما تشا ... وتحكم يا كرى في المقل
ما يفيد النور في اشراقه ... ان يكن اطفيء نور الامل
انا مهما تطرد الشمس الدجى ... لا تزل نفسي بليلٍ أليلِ
اعشق الليل ومالي والضحى ... عشت يا ليل ألا فانسدل
انسدل تحجب عن الطرف الشقا ... يا لطرفٍ بالشقا مكتحل
لا يرى اذ تطلع الشمس سوى ... سائل او عاجز او وكل
عصف الفقر بهم فانتشروا ... كانتشار الوابيء المستفحل
يلهمون العشب من جوعهم ... ويحهم ما تركوا للهمل
بجسوم هزّل تحملها ... بعياء واهيات الارجلِ
ووجوه كتب الموت على ... صفحتيها – هذه الاوجه لي
صدق الموت بما قد قاله ... ما ترى اشلاءهم في السبل؟

### حرب الهواء

ليتنا في الكهف حتى ينقضي ... – لاشفاه الله – جهل الدول
سعروها لو اصابت جبلا ... راسخاً لانهدّ ركن الجبل
او اصابت جحفلا ما تركت ... رجلاً حياً بذاك الجحفل
تارةً وجه الثرى حربهمُ ... واحايين تراها من علِ
تقذف النار مناطيدهمُ ... كانقذاف النيزك المشتعل
يتجارون على الافق كما ... يتجارى النسر اثر الاجدل
تسبق الطير اذا سابقها ... ويجي الطير ولما تزل
واذا ما سعروها في الدجى ... وترقوا للسماك الاعزل
وتراموا باللظى واشتعلوا ... وتهاووا كالقضاء المقبل
خلت ان النجم في عالمه ... بات في كارثة لا تنجلي
سعر الحرب فنادى (المشتري) ... يا لثارات العلى من (زحل)
وبدا (الليث) على انيابه ... قطرات من دماء (الحمل)
بدعٌ لو لم تُشاهد حسبت ... من اساطير الشعوب الاول

### حرب الغازات

ورموا بالغاز قتالا فان ... ينتشر ينشر حبال الاجل
تحسب الجيش وقد نُشقه ... اخضر السنبل تحت الشمأل
يأخذ الفيلق اذ يبكمه ... ولقد يأخذه بالخبل
ولقد ينساب في انفاسه ... مثلما انساب دم في مفصل
ولقد يتركه ذا صمم ... ولقد يتركه ذا شلل
عددٌ كانت لتشفي عللا ... صيروها لاختلاق العلل

### حرب الخنادق

ولجوا بطن الثرى فهو بهم ... جبهة الليث وحد المنصل
بل عرينٌ يبعث الهول بما ... ضم من ليث واليث مشبل
تركوا ضرب الظبى كي يضربوا ... في جلاميد الصفا بالمعول
واذا ما خندق الاعدا بدا ... نسفوه وانثنوا في عجل
فهنا قد زلزلت زلزالها ... ورمت بالجلمد المشتعل
فاذا الترب لمن كانوا به ... كفنٌ بالدمع لم يغتسل
واذا الخندق امسى منزلاً ... ابدياً يا له من منزل

### حرب الغواصات

يا لعينيك ترى غواصة ... نزلت من قعره في الاسفل
ولقد تلمح في الماء كما ... يلمح المعنى خلال الجمل
عجباً للحوت في احشائه ... بشر ما يأمروا يمتثل
حوت يونان حواه رجلاً ... ويحوت اليوم كم من رجل
وجدت كي تصل السبل وقد ... صارت اليوم لقطع السبل

### ايها العصر

ايها العصر الذي اياته ... سامتت آي الكتاب المنزل

كم تنقصت عصوراً اسلفت ... ويلنا من عصرك المكتمل
جرت في الحكم عليها فاتئد ... انما العدل جميل فاعدل
قسماً لو بعثت واتهمت ... بالذي جئت ارتدت بالخجل
عصر نيرون ونيرون معاً ... رفضا لو خيرا بالبدل
ضحك الجهل من العلم وقد ... فاخر الجد بماضي الكسل
قدك يا عصر اختراعاً انه ... مكمن الويل ولكن قدطلي
كالمرائي لابساً شفافة ... للتقى فوق فؤاد دغل
او كصمصام بحديه الردى ... كامن والغمد زاهي الحلل
تعمر الكون لكي تهدمه ... ليت ذياك البنا لم يكمل
وتربي الطفل كي تقتله ... ليت احشاء النسا لم تحمل
يا لها من حكمة باهرة ... من يرم ادراكها ينخذل

## خطب العلم بابنائه

يا لخطب العلم في ابنائه ... انه منهم بداء معضل
قوسوا من ظهره فيما جنوا ... فهو قد شاب ولم يكتهل
نعمٌ عقت له في جيدهم ... فهي من كفرانها في عطل

## ويلات الحرب

يا لهول الحرب في ويلاتها ... رمت الكون بخطب جلل
تلهم المليون لا يشبعها ... ومتى تطعم اخاه تأكل
كم شموس في سما الماضي وكم ... من نجوم في سما المستقبل
ويتيمات فنون جمة ... حسبت من معجزات الاول
فاذا تلك انطفت شعلتها ... واذا هذه كبالي طلل
ولكم روضة بيت ذبلت ... وهي لولا حرها لم تذبل
وفتاة طفلة قد سألت ... امها — اين ابي لم يقبل
فلقد طالت بنا غيبته ... وانا اشتقت لتلك القبل
ولكم عذراء كالبدر على ... قامة كالغصن المعتدل
تلمس النجمة في مبسمها ... ويرى ذوب الدجى في المقل
سامها الفقر وكانت قبله ... تتغذى بخيوط المغزل
فاباحت ثغرها مرغمة ... وهي لولا جوعها لم تفعل
ولكم كهل سقى ابناءه ... دم احشاه ولما يأتلي
راجياً ان يطعموا والدهم ... وهو شيخ من غمار العمل
فاذا الابناء في الحرب قضوا ... واذا الشيخ من البلوى بلي
ان هذا ما يرى لكن ما ... لا يرى يقتلنا في خجل
انا مهما قلت في ويلاتها ... كنت ممن قنعوا بالوشل

## مؤتمر ولا كالمؤتمرات

ادوات الحرب عنها اضربت ... والتقوا كلهم في محفل
وقف الفولاذ فيهم خاطباً ... بكلام كالرحيق السلسل
قال: لو انصفت ما كنت سوى ... سكة او معول او منجل
اسعف الانسان في الحرث ولا ... اتوانى عند حصد السنبل
مؤثر لو كنت مسماراً — ولا ... خجل — في نعل طفل محول
امنع الاشواك ان تجرحه ... واقي أرجله من بلل
مؤثر هذا ولا يستلني ... ظالم سيفاً فذا افضل لي

*

عند هذا الخشب اهتز وقد ... قال — فلتقطع يمين الرجل
حبذا اليوم الذي كنت به ... غصناً عند ضفاف الجدول
لي من الاوراق ابهى حلل ... ومن الزهر نفيسات الحلي
وتنديني نسمات الصبا ... ويسليني غناء البلبل
احمل الاثمار يجنيها بنو ... آدم سائغة كالعسل
فاذا بي تارة مركبة ... تحمل المدفع ثقل الجبل
واذا بي تارة في سابح ... واذا بي تارة في معقل
انا لو انصفني المرء لما ... كنت الا مغزلاً في معمل
انسج الصوف فاكسوه ولا ... اشتكي من تعب او ملل
مؤثر هذا ولا يجعلني ... قبضة السيف فذا افضل لي

*

عندها الكهربا قالت وقد ... لمعت انوارها للمجتلي
قوتل الانسان كم دمر بي ... وانا روح النظام الامثل
احفظ الاجرام في افلاكها ... واقيها عاديات الخلل
انا ملء الكون ما فيه سوى ... خدمي او خولي او رسلي
قسماً لو كنت ادري انه ... بسوى الآثام لم يشتمل
لتحجبت فلم اظهر له ... ولما دنس يوماً هيكلي
ولما جشمني اثقاله ... ولما فارق ظهر الجمل
انا لو خيرت لاخترت الخفا ... ورجوعي للخمول الاول
مؤثر هذا ولا يجعلني ... شبح الهول — فذا اشرف لي

*

فانبرى البارود في حدته ... وهو يغلي غليان المرجل
قال — لم ينكب بهم مثلي ولم ... يحتمل منكم به محتملي
قوتلوا من بشر افضلهم ... ان يفاضل اي وحش يفضل
اقذف المدفع في احشائه ... للمنايا زمزمات الهول
حمم ظمأى متى ما انطلقت ... فدم الانسان اروى منهل
تصدم الحصن فتذريه وقد ... قهقهت من شائديه الجهل
فكأي من صفيح مقفل ... تركته وهو سهل المدخل
انا لو انصفني الناس لما ... كنت في الناس رسول الاجل
ألهب الكون وفي ملحي شفا ... لو ارادوا لالتهاب العضل
انا لو خيرت لاخترت البقا ... في يد الآسي و(بنك) الصيدلي
انقذ الانسان من آلامه ... ولقد ادرأ بعض العلل
مؤثر هذا ولا يجعلني ... رائد الموت فذا اشرف لي

*

هذه وهي جماد انفت ... ان ترى الانسان يهوي من عل
يدّعي العقل ولكن حربه ... انبأتنا انه لم يعقل

بشاره الخوري

# قصيدة الدكتور نقولا فياض

●

لاهاي ، هل صوت بجوك يسمع     هيهات ما لاهاي الا بلقع
لم ينفع القصر الـذي شيدته     وكذا الرمال قصورها لا تنفع
جمعتهم الاطماع فيك فمذ نأوا     قالت لهم اطماعهم لن يجمعوا
ما ابدع السلم الذي حلموه لو     وقفوا على تحقيقه ما ابدعوا
زرعوا الكلام فما حصدت واصبحوا
السيف يحصد فيهم والمدفع
هي يقظة طاحت بها اعمارهم     فكأنهم فتحوا العيون ليهجعوا
علقت بهم نار الجحيم فاصبحوا     سجارها لا يشبعون وتشبع

*

في ذمة الرحمن كل سميذع     يمشي اليه من العدو سميذع
جهلوا القتال فعلموه ولم يكن     من طبعهم سفك الدماء فطبعوا
النازلون من الخنادق حيث لا     نسم تهب ولا شعاع يسطع
يحمي حماها كل أروع باسل     ويظل من بغتاتها يتفزع
الراكبون الجو فوق سوابح     تجري بامرتها الرياح الاربع
من كل ثابتة الجناح ازيزها     متواصل وبريقها متقطع
الخائضون على الافاعي لجها     لا من يرى فيها ولا من يسمع
النافضون جبالها وثلوجها     لا يطمئن بهم عليها مضجع
الذاهبون ولا رجاء ، العائدون ولا شفاء ، السابقون التبع

*

يا للهجوم وقد دعا داعي الردى     فمشوا اليه والاسنة شرع
بجحافل تزجى وراء جحافل     وفيالق اثر الفيالق تدفع
مادت بهم انجادها فكأنهم     سرب من العقبان سود جوَّع
رصدتهم قلل السعير تصبها     قلل الحديد فلا تقيهم ادرع
بغتتهم من خلفهم وامامهم     نيرانها فتفرقوا وتجمعوا
متسابقين وليس منهم سابق     متراجعين وليس عنها مرجع
في مأزق للموت اسكرهم به     رهج الخميس والرؤوس تقطع
حتى اذا سكن العجاج ولم يعد     الاصدى ذاك الضجيج يرجع
طلع الهلال عليهم فاذا هم     عدم فظيع او وجود افظع
الارض نافضة البطون تزاحم     الموتى بها فهم وقوف ركع
فكأنه يوم القيامة فيهم     او انهم قبل القيامة قد دعوا

*

يا أرض اي رواية مثلتها     علمت فيها الناس ان يتوجعوا
هذي كنوزك اصبحت حمماً بها
بركان صدرك ثائر يتصدع
امللت حمل الساكنيك فقلت     افنيهم كفى ما بالوجود تمتعوا
ام شاقك الثوب القديم جررته     لهباً فقلت الى قديمي ارجع
ناراً يسيل بي الفضاء وليس لي     مهج تسيل ولا عيون تدمع

*

هل تبعثين مع الربيع معزياً     الناس ينسى ما به قد روعوا
فيعود ثغرك ضاحكاً متهللاً     ويعود زهرك في الربى يتضوع
ويعود للاغصان طيرك آمناً     يتلو مراحمه عليك ويسجع
ام تبعثين قذائفاً وقنابلاً     لا تقنعين بها ولا هي تقنع
فيظل صدرك بالنجيع مخضباً     ويظل وجهك بالحداد يقنع
انا سقيناك الدماء زكية     واتى الربيع فما كفتك الادمع

*

يا ايها الانسان ماذا تصنع     قدك اتئد اربيت فيما تطمع
هدمت يداك اعز ما شيدته     ماذا الذي من هدمه تتوقع
عالجت بالعلم الحياة وانه     سيف على الحدين ماض يقطع
اعطاك ما اعطى سواك فصارع     يوماً ويوماً مثل غيرك تصرع
انا لا اصدق ان مجدك زائل     انا لا اصدق ان ملكك يخلع
ان كنت ذا جهل فعلمك واسع
او كنت ذا بغض فحبك اوسع
الحب نورك في الوجود فان نأى
عن مطلع ادناك منه مطلع
كم ضيعتك الحادثات بليلها     ثم اهتديت به فلست تضيع
ارفع حجاب البغض عنك وبعده     علم السلام على ربوعك يرفع
ان تمنع الاطماع عنك دوامها     فشرائع العمران ليست تمنع
الحب حق للوجود وواجب     تتزعزع الدنيا ولا يتزعزع

نقولا فياض

# تسامح العظماء

بقلم الدكتور عمر فروخ

•

من الحقائق المشاهدة في الحياة ان عظماء الرجال من اصحاب المذاهب الفلسفية والدينية والاجتماعية هم اكثر مرونة وتسامحاً من عوام الناس الذين يتبعونهم ويأخذون بآرائهم . ذلك لان التسامح ينتج من صفتين متلازمتين . القوة والحق ، وان التشدد الذميم ينتج ايضاً من صفتين متلازمتين : الضعف والباطل او عن الضعف والجهل على الاصح .

اذا اعدنا النظر في الفلاسفة الاقدمين واخترنا منهم الافلاطون مثلاً ثم رجعنا الى آرائه السياسية في الدولة ، او الاجتماعية في المرأة وجدناها اكثر مرونة وتسامحاً وملاءمة من آراء بعض الذين سموا انفسهم فيما بعد افلاطونيين . لقد قال افلاطون مثلاً ان المرأة اذا اعدت للحياة كما يعد الرجل اصبحت مثله ، واستطاعت ان تقوم بما يقوم هو به عادة ، مع الاعتراف بوجود فروق اساسية مشهورة . ولكننا لو انحدرنا الى ايامنا هذه ورأينا الذين نسميهم انصار المرأة واطلعنا على آرائهم وعلى حياتهم وعلى حياة المرأة في ايامهم لرأينا منهم جميعاً عجباً .

ولقد اخترت في هذا المقام ان استشهد على تسامح العظماء بثلاثة رجال لا يثير الاستشهاد باقوالهم ثائرة ولا نائرة . واقتصرت على ثلاثة فقط لعلي أفي الموضوع بعض حقه . هؤلاء الثلاثة هم حجة الاسلام الغزالي والفيلسوف ابن رشد والمصلح الديني الشيخ محمد عبده .

اما الغزالي فكان حجة الاسلام غير منازع ، وكان في كل ما كتب يرمي الى غاية واحدة هي ان يحفظ على السواد الاعظم من المسلمين ايمانهم واطمئنانهم . لقد كان الغزالي يعلم ان الوصول الى الحقيقة الكبرى يمكن ان يكون من سبل مختلفة ولكنه كان يعتقد ان العامة من الناس لا يحتملون ذلك ، وان الطريقة الوحيدة التي تحفظ عليهم دينهم هي ان يتبعوا ما يقول لهم الدين من غير ان يفكروا في امكان وجود سبيل آخر . لقد كان في ذلك صريح الرأي ، صريحاً في التعبير عنه .

واعتقد الغزالي بان الفلاسفة الاولين قد جاءوا بكثير من الحق وان علومهم الرياضية والطبيعية والطبية والسياسية والاخلاقية كانت صحيحة . ولكنه كان يقول : ان العامة اذا رأوا بعض هؤلاء الفلاسفة متهاونين في امر الدين ، بعد ان رأوهم مصيبين في الرياضيات والطب ظنوا انهم مصيبون ايضاً في تهاونهم في الدين . فيجب اذن ان تحول بين العامة وبين الكتب الفلسفية ، وان نحسن للسواد الاعظم من الناس شأن الدين بكل وسيلة وسبيل .

هذا هو الغزالي . لقد كان منصفاً فاعطى كل ذي حق حقه ، اعترف للفلاسفة بما لهم وقال عن العامة ما يجب ان يقول عنهم ، وكان واضحاً في بسط وجهة نظره . على ان تسامحه كان عظيماً ، فلقد درس الفلسفة كلها وذكر شيئاً كثيراً عنها في كتبه . وكان وهو يدافع عن الاسلام ويحث على التمسك به يستشهد باقوال الانبياء كلهم وباقوال الحكماء والمتصوفة وربما ذكر شيئاً من التوراة والانجيل وقصص الرهبان ، حتى ان الفيلسوف ابن رشد لامه على ذلك وقال عنه انه كان يضر بالدين من حيث يريد ان ينفعه . ولكن تسامحه هو الذي حمله على ان يقول في كتابه الصغير القيم (المنقذ من الضلال) : « وعادة ضعيفي العقول » انهم يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق » .

والعاقل يقتدي بسيد العقلاء علي رضي الله عنه حيث قال : «لا تعرف الحق بالرجال ، بل اعرف الحق تعرف اهله . فالعاقل يعرف الحق ثم ينظر في القول نفسه، فان كان حقاً قبله ، سواء اكان قائله مبطلا ام محقاً ، بل ربما يحرص على انتزاع الحق من اقاويل اهل الضلال .» أفتظن ان الذين يدعون انهم يأخذون بآراء الغزالي يتسامحون مثل تسامحه وينصفون انفسهم وغيرها كانصافه هو لنفسه ولغيره ؟

وهذا الذي فعله الغزالي في الدين فعله ابن رشد في الفلسفة . ليس ابن رشد اكبر فلاسفة الاسلام فحسب بل هو من اكبر الفلاسفة على الاطلاق . ولقد احدثت فلسفته في اوربا دويا هائلا ونشأ من بعده في اوروبا المسيحية حركتان : الرشدية وهم انصار فلسفته ، ثم خصوم الرشدية مما لا مجال هنا لبسطه .

هذا الفيلسوف العظيم الذي كان اول من فهم فلسفة ارسطو في العصور الوسطى في الشرق والغرب معاً ، فهما صحيحاً او قريباً من الصحيح ، كان عظيم التسامح والانصاف فقال : يجب علينا اذا الفينا لمن تقدمنا من الامم السالفة نظراً في الموجودات واعتباراً لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان ان ننظر في الذي قالوه من ذلك وما اثبتوه في كتبهم . فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه . وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم» .

تفهم هذا جيداً ثم انظر في الفلاسفة الذين جاؤا بعده ، واعلم ان واحداً من هؤلاء قرأ فلسفة ابن رشد فلم تعجبه — حقاً او باطلا — فقال : «ابن رشد كاب كاب» . اعتبر قول ابن رشد ثم اعتبر قول خصمه وانظر الى ذلك التسامح العظيم الذي لا تجده الا عند اعاظم الرجال .

وننتقل الان الى الشيخ محمد عبده . ذاك المصلح الديني الذي هز الشرق الاسلامي في العصر الحديث . وعلى الرغم من كل ما لقيه الشيخ محمد عبده من السجن والاضطهاد ومن تحامل خصومه عليه وتعرضه لنقمة رجال كبار ذوي نفوذ فانه لم يرد على احد منهم بكلمة سوء ولا انتقم من احد حينما اصبح عضواً في ادارة الجامع الازهر وحمل لقب مفتي الديار المصرية . لقد تلقى الغمز واللمز والنقد بصدر رحب واحتمل العذاب والاضطهاد ثم هو لم يفسد هدفه الاسمى بالتعصب ولا شانه بالجهل حتى قاد كثيرين من خصومه الى الاذعان له بهذا التسامح الذي كان يتصف به .

ليس معنى التسامح ان يفرط الانسان بحقه او بحق عهد به اليه، ولكنه هنا الانصاف لنفسك ولغيرك بألا تدعي لنفسك اكثر من الذي هو لها ولا ان تصم اذنيك عن سماع حجة مناظرك . والذي لا يعرف التسامح لا يستطيع ان يرى الحق في مواضعه . وهذا الذي حمل الشيخ الامام محمد عبده على ان يقول : «ليس في العلم امير الا العلم نفسه .»

ان التسامح فيما ارى فلسفة واحدة لا بأس في ان اختم بها هذا المقال : يجب الا يهتم العظيم باقوال الناس بالاخذ منهم وبالرد عليهم ، بل عليه ان يتسامى فوق هذا كله وان يقف جميع وقته وجهوده وعبقريته لبلوغ هدفه الاسمى ، ويتساهل بجميع ما دون ذلك . اما الذي يحكم بينه وبين خصومه فهو الزمن وحده . ويومئذ تبيض وجوه وتسود وجوه .

عمر فرّوخ

# المهندس

بقلم المهندس انطون ثابت

سكرتير عصبة مكافحة النازية والفاشستية في سوريا ولبنان

لما طلب مني ان اتحدث اليكم هذه الليلة عن مهنتي واثرها في بنـاء الامة ، خطر لي ان استوحي جوابي من السؤال نفسه . لم لا وقد استعمل السائل ذاته كلمة البناء ، بناء الامة ، للتعبير عن نواحي الحياة كلها بما فيها من امل وعمل ، من تنـاقض وائتلاف ؟ لِمَ لا والبنـاء الهندسي كالبنـاء الوطني بتشعب نواحيه وكثرة عناصره وهو يتقدم بتقدم الحياة العلمية والادبية والصناعية ويتوقف بتوقفهـا .

البناء الهندسي يأخذ دوماً من التراث القديم او من التراث الاجنبي ما هو بحاجة اليه من اسـاليب العمل وموادِه ، فيطبعه بطـابعه الوطني والاقليمي اذ لكل قطر طابع خاص يختلف عن غيره باختـلاف وسائل العيش والعادات ، واختلاف الطقس كشدة الحر ورطوبة الجو وكمية المطر ، واختلاف مواد البناء ومدى تقدم الصناعة والزراعة ومقدرة العمال وتطور عقليتهم ، الى ما هنالك من اسباب .

كان الاصح اذن ، ان يقال : بناء الامة واثره في مهنتي ، لان المهندس لا يستطيـع ، مهما سمت عبقريته ، ان ينعتق من قيود الزمان والمكان ، فيملي ارادته املاء ويتصرف بنفسه على هواه ، وكيف يستطيع ذلك ، والفن اولا وآخراً مرآة الحيـاة الوطنية والاجتماعية والاقتصادية في كل بلد من البلدان وزمن من الازمان .

ان المهندس ليستطيع ان يبدع في نطاق الحياة الاجتماعية التي يلابسها ما شاء الابداع وما واتاه على الخلق الفني ذوقه ومحيطه ، لكنه لا يستطيع بحال من الاحوال ان يتجاهل ساعة عمله مواد عمله ، ولا ان ينكر الاوضاع والمؤثرات التي يعمل في نطاقهـا ولا يستطيع ابداً ان يعمل بمعزل عنها .

ونحن اذا اتخذنا مثلاً ناطحـات السحاب في حضر موت ، وهي بنايات يتألف بعضها من ستة عشر طابقاً وتتحصن كل عائلة في بناية او طابق منها تحصيناً منيعاً لحماية نفسها من عدوان القبائل المجاورة وقارنا هـذه البنايات بقصر الحمراء في الاندلس او بقصور بغداد وآثار دمشق وحلب او بالبيت اللبناني العربي في العهد نفسه تبين لنا بوضوح كيف تأثر كل من تلك الاساليب الهندسية بمؤثرات محلية خاصة ، واختلف عن غيره تبعـاً لاختلاف الطقس ووسائل العيش ، وتقدم الصناعة وتكتل الجماعات ، فضلاً عن تفاوت البنائين والمهندسين انفسهم .

لما تحضرت القبائل العربية شرعت في البناء : والبناء العمراني والبناء الاجتماعي ، اللذين يسيران دائمـاً جنباً الى جنب ، وجدت آثاراً خلفها الفرس والرومان والتدمريون والبيزنطيون فاخـذت منهم ما استطاعت اخذه من مواد ونقوش وصهرتها بطابعها الخاص فجاء الفن العربي جديـداً وقديماً في الوقت نفسه ، له بعض مزايا الفنون الفارسية والرومانية لكنه يختلف عنها تمام الاختلاف .

ثم لقح الفن العربي بدوره الفن الغربي وكان لابنـاء المغرب نموذجاً مثالياً من نماذج التنظيم والعمران .

وبعد ان بلغت الصناعة العربية والفنون العربية اوج عظمتها ، وابتدأ تقدم الغرب وتطور صنـاعته وثقافته ، شـاء الامبراطور شارلمان ان يستوحي آثار الرومان لتوجيه البناء في عصره او توجيه البناء الرسمي على الاقل ، فلم يتمكن من التـأثير في سير الفن والصناعة . وبدلا من ان يتـأثر البناء والزخرف بالاسلوب الروماني كما اراد ، جاء متأثراً بالصناعة والفنون الاندلسية العربية ، ولم يستطع ان يحقق مطلبه الا بواسطة العمال والفنـانين الذين استقدمهم من سوريا والقسطنطينية والمغرب . ويعود اخفاق شارلمان في محاولته الاولى الى ان الفن الروماني بعد انهيار دولته وتفكك امته وبعد العهد به لم يبق ملائماً لاوضاع الحياة الاجتماعية وحاجاتها المستحدثة .

ولما تقدمت صناعة الغرب وازهرت ثقافته واصبح قابلاً للتقدم الفني ، اخذ من العرب مـا يلائم تطوره الصناعي والاقتصادي والاجتماعي وشاد من ذاك فناً جديداً لم يكن عربياً ولا رومانيا وان كان متأثراً بهذين الفنين رغم مـا بينهما من الفروق ، مثله كمثل العربي اذ قام على اسس متفرقة ومختلفة انصهرت بالطابع العربي فادت للعالم رسالة فنية جديدة تقدمية لا اثر فيها للابتزال .

اما الاوضاع السياسية والدينية والفلسفية فلها ايضاً اثرها الكبير في تطور فن الهندسة ويكفي ان نرجع البصر الى هندسة المدن المحصنة في القرون الوسطى والى الهيـاكل اليونانية والرومانية ونقارنها بالمدن الحديثة والكنائس والجوامع ليتبين لنا الفرق الشاسع بين عهدين كانت منافع المدينة والثقافة والدين منحصرة في اولهما بنفر من الخاصة فاصبحت في العهد الثاني ميسورة التنـاول لجميع افراد الامة .

يمكن القول اذن ان للعامل الفلسفي والديني عمله في تغيير شكل البناء تغييراً كاملاً وفلسفياً اذا جاز هذا التعبير .

ونحن اذا رجعنـا الى مقارنتنا السابقة بين الهياكل الوثنية والمعابد المسيحية والاسلامية نرى كيف ان هندسة المعابد الوثنية كانت اشبه بصندوق مظلم لا يكاد يستوعب سوى تماثيل الالهة ، وكيف ان المعابد الحديثة قـد اتسعت باتساع الفكرة الدينية واشرقت باشراقها ، واصبحت تستوعب عدداً اكبر من المصلين لان هذه الشرائع لم تشرع لفئة معينة من الناس بل للناس اجمعين . ومن ثم بدت في الجوامع الاسلامية ظاهرة فريدة هي ان الجامع الواحد من الجوامع الكبيرة تكون في الغالب اربعة ابواب شرقي وغربي وشمالي وجنوبي ، فكان في ذلك رمزاً الى ان هذا الدين عام لا خاص وكان هذه الابواب الاربعة تدعو اليها الناس من كل صوب وتسهل لكل فرد سبيل الوصول الى الجـامع من اقرب مكان الى بيته ومحل عمله .

وثمة ظاهرة اخرى امتازت بها المعابد الحديثة من سابقاتها ، فضلاً عن الاتساع والاشراف هي القبـاب والمآذن التي تمعن في الجو صعوداً ما استطاعت الامعان ، كأن اصحابها يرمزون بها الى ارتفـاع الفكر البشري عن المستوى المادي السابق وتطلعه الى منزلة اعلى مما كان الفكر عليه في ايام الجاهلية .

هذه لمحة موجزة عن تأثير الاسس العامة لحيـاة الامة في فن الهندسة وتطوره ، ولكنها ليست سوى وجه من وجوه المسألة . فكما يؤثر المحيط والاوضاع المختلفة في فن الهنـدسة ، يؤثر الفن نفسه في الاوضاع الاجتماعية والعلمية والثقافية . فالتكتل الاجتماعي الذي اشرنا اليه في مطلع هذا الحديث لم يصبح ممكناً الا بعد ان تنظمت هندسة البناء وهندسة الري وهندسة الطرق والمعـابر ، أي بعـد ان قطع العلم والفن مرحلة طويلة من مراحل التقدم الصناعي والعلمي .

كانت القبائل والكتل البشرية الاولية تتبع مجاري الانهار والاراضي او سواحل البحار وتعيش هنـاك على الصيد والقنص والثمار والاعشاب وليس بين افرادها من اواصر القربى سوى مصلحة الدفاع عن حياتهم ضد الوحوش المفترسة او ضد الغزاة الطامعـين بالخيرات الطبيعية التي تستمتع بها .

وكانت القبائل تهاجر اذ ذاك سعياً وراء تلك الموارد الطبيعية وتحط رحالها في الاراضي الخصبة حتى تستنفد ما هنالك من خيرات ثم ترحل الى موضع آخر طلباً لرزق آخر . اما حر الصيف وبرد الشتاء فكانت تتقيهما بتنقلات فصليـة مستمرة بين السهول والجبال .

ولما تقدمت الفنون ولا سيما الفنون الهندسية وفتحت طرق المواصلات وبنيت الاسوار ، وتعمم الري ، اصبـح بالامكان زيادة ذلك التكتل وتوسيعه . وهكذا اجتمعت قبـائل مختلفة ذات منافع مشتركة ، لاستثمار الارض والتعاون على اخضاع العوامل الطبيعية والحيوانات واصبح التعاون ممكناً لاعلاء مستوى الحياة وخلق الصناعة الحرفيـة التي زادت في الوقت نفسه امكانيات الاستثمار الزراعي بما اوجدته من ادوات ولباس وتنظيم .

ولما زادت تلك الكتل قوة ، وتوافرت طرق مواصلاتها مع غيرها ، ابتدأ تبادل المحصولات الزراعية والصناعية بين بلدين وبين كتلتين ، فادى ذلك الى تبادل الاراء الثقافية والاكتشافات العلمية بين كتلتين تتكلمان بلغة واحدة على ارض واحدة . وهذا اول شرط في بناء الامة .

ولما توافر نشوء هذه الجماعات ونموها ، صار على العلم والفن ان يحلا مشكلة ايواء تلك الجماعات وتنظيمها بطريقة علمية صحية ، فاكتشفا مزايا جديدة للمواد المعروفة من قبـل ، واكتشفا مواد جديدة لم تكن معروفة قبلاً كالحديد والاسمنت والطين والخزف والزجاج وغيرها ، فادت تلك الاكتشافات الى تطور فن الهندسة والبناء الى ابعد حد .

ونحن لا نعني بالاكتشافات العلمية : المادي منها فحسب بل النظري ايضاً . اذ ان حل المسائل بطريقة الجبر والتخطيط الهندسي

على اسس نظرية بحتة ، ساعد مساعدة كبيرة في اكتشاف مقاييس جديدة للمواد المعروفة ، كما ان علم الكيمياء النظري ادى الى اكتشاف مواد جديدة خدمت الفن وسارت به نحو الكمال .

وللاكتشافات الطبية ايضاً اثر كبير في تطور فن الهندسة ادى الى تنظيم القواعد الصحية للوقاية باخذ الاحتياطات الصحية في بناء المنازل وتهويتها وتدفئتها ، وجر المياه وتصريفها الى ما هنالك من وسائل صحية تتطور مع تطور الاكتشافات الطبية والعلمية .

ولما تحول الفكر على اثر تبادل العلوم والنتائج ، من عهده الانعزالي الى عهده الشعبي ولم يبق منحصراً بفئة صغيرة معينة من فئات الامــة ، تطور فن البناء ايضاً اذ جنح الى انشاء المعاهد والمكاتب والمسارح على اسس اوسع ومقاييس جديدة يزداد حجمها بازدهار العلوم وتزايد عدد المثقفين . وقد ادت هــذه الاسس والمقاييس بدورها الى رفع مستوى الفكر الهندسي اذ انها اضطرته الى اكتشاف مواد وطرق جديدة لحل المشاكل الجديدة التي طلب منه حلها .

واذا انتقلنا الى هندسة تنظيم المدن وهي الهندسة الاجتماعية الشاملة، رأينا كيف تتحور وتتغير مع مظاهر الحياة الجديــدة .

فمن المدن المحصنة باسوار منيعة تعيش على نفسهــا مع ضيق شوارعها وكثافة جدرانها ، انتقل العالم الى المدن الفسيحة التي تفتح معاهدها وجنائنها وحدائقها ومخازنها لغيرها من المدن، وتبادلها ما هي بحاجة اليــه وتأخذ منها ما ينقصها . وشتان بين تينك المدنيتين والطريقتين المتباينتين في فهم الحياة .

لقد بينا فيما تقدم كيف تؤثر بعض العوامل في فن الهندسة وكيف ان فن الهندسة نفسه يساعد على تطور تلك العوامل ، فما هي اذن وظيفة المهندس في تلك التغييرات وتلك التطورات ؟ .

هنا يظهر جلياً تأثير الصفات الشخصية التي يتمتع بها المهندس ومدى ثقافته ، فاذا كان يتمتع بمزايا علمية وعملية اكيدة فهو قادر بتنظيم خططه واعماله على توجيه فنــه وبنائه توجيهاً جديداً سواء باكتشاف طرق عمل جديدة او باستعمال مواد جديدة لم تكن صفاتها وطرق صنعها معروفة قبلاً ، او بزيادة سبــل الراحة ورغد العيش وغيرها . وهذه الطرق والوسائل الجديدة تؤثر بدورها في عقليــة المهندس كما تؤثر في الاوضاع الهندسية نفسها ، وفي تقدم الصناعات المرتبطة بالصناعات التي تساهم في صناعة البناء ، بل انها لتؤثر ايضاً في عقلية ساكني ومستعملي تلك البنايات ، اذ ان الحياة في محيط فني عال تؤثر حتما في العقليــة السائدة ، وتوحي افكاراً وآمالا جديدة ، وتخلق حاجات جديدة يطلب من العلم ومن الفن توفيرها من جديد .

وجملة القول في شــأن الفنان والمجتمع ان الاول يستخدم الاساليب الفنية والمستنبطات العلمية لتحقيق الاغراض التي يفرضها الثاني عليه ، ويفرض هو بدوره على المجتمع اغراضاً اخرى . وتبلغ عبقرية الفنان اوجها اذ تعبر عن النزعات والمطالب التي تجيش في ضمير المجتمع ولا تجد الى الظهور سبيلا ، لكن الفنان يظل في هذه الحالة ايضاً ، وهي ارقى حالاته ، متأثراً بالمجتمع الذي يعيش فيه .

واذا انتقلنا من بيوت السكنى البسيطة الى البنايات الجامعة كالمدارس والمتاحف والمسارح نرى تأثير الفن الهندسي على مقياس اوسع وارحب : نراه يؤثر في جماعات اكثر عدداً وفي الغالب اقل انعزالا واكثر ثقافة . فيصبح الفن اذ ذاك شعبياً ، والفن الشعبي هو دائماً اقرب الى خصائص الامة من الفن الرسمي التقليدي ، لان الاول يأخذ جزوعه من الارض والتربة والمواد المحيطة به ، امــا الثاني فيبقى في الاغلب دخيلا يستوحي افكاره واعماله من بعض الصفــات الشخصية التي كثيراً ما تكون منفصلة عن محيطها وموارد حياتها .

واذا جمعنا كل ما سبق الى هنــدسة وتنظيم المدن والطرق والمعابر والمرافق الوطنية يصبح التأثير الهندسي اوسع وارحب ، لانه يتصل اذ ذاك اتصالا وثيقاً بمجموع الامة فيغير وضعها الصناعي وامكاناتها وحتى عقليتها .

فبناء الامة اذن متصل اتصالا وثيقاً ببنائها الصناعي والفني ، كما ان البناء او التنظيم الفني يؤثر دائماً في بناء الامة . وهذا التأثير المتبادل مستمر دائماً بين الفن والحياة والحياة والفن ، وبين عقلية المهندس والمادة والمادة وعقلية المهندس ، يكون احدهما فاعلاً فيصبح منفعلا . وليس لهذا التفاعل المستمر نهاية اذ لن يكون بين عنصريه توازن حاسم لان التوازن الكامل المطلق هو الجمود والموت .

انطون ثابت

---

(١) اذيعت هذه المحاضرة من محطة « راديو الشرق » وهي اول السلسلة الجديدة في احاديث الشباب التي تذاع مساء كل خميس وموضوع هذه السلسلة « مهنتي واثرها في بناء الامة » يتحدث فيها المهندس والصحافي والمعلم والطبيب الخ .. عما لمهنهم من اثر في بناء الامة ، وسننشر هذه المحاضرات بالتسلسل في « الاديب » .

مهنتي واثرها في بناء الامة

٢

# الصحفي

بقلم حنا غصن

مدير جريدة « الديار »

كان الراسخ في اذهان الناس عندنا ان الصحفي رجل يعيش او يحاول ان يعيش على هامش المجتمع السياسي والاقتصادي، او عالة عليه، وانه شخص سدت في وجهه منافذ الرزق وابوابه فتلفت الى قامه ينهش ويثلم او يمدح ويسترضي فيدفع اليه الاول بما يسكته او يتصدق عليه الثاني بما يلهي، وقد يبرز ثالث يطعم ليبعد شبح الاذى عن نفسه . ولم يكن هذا التعريف يصدق على محرر الجريدة فحسب بل هو تعريف متعد يتناول رئيس التحرير وصاحب الجريدة واكثر ما يكونان واحداً، ويشمل حتى الجريدة نفسها، فهي في عرف الناس فريضة، شأنها شأن ضريبة الاعناق : هذه تجبى عن طريق القوة المنظمة المسلحة، واشتراك تلك — يجبى بالنهش والثلم والمدح والاسترضاء .

وتمر بي الان وانا اتحدث اليكم من غير ان أرى او أرى حوادث وحكايات هي سلسلة من الفواجع الواقعة، جابهتني في في مستهل عهدي بمهنتي، فاوشكت تجاهها ان اجبن : حكايات غريبة ولكنها تتحدث عن ذهنية اوجدتها عوامل اجتماعية مختلفة .

منها : دعاني رجل يحتل بالاضافة الى وظيفته ما اصطلح مجتمعنا على تسميته بالمركز الادبي، الى تناول الطعام في منزله، وانا اطل على الحياة في هذه المدينة من كوتي المحاماة والصحافة وهو يعرف الاولى منهما . ولم يطل بيننا المقام حتى حملت اليه بطاقة زائر فاذا به يتناول من محفظته كمية بائسة من النقود دفعها الى الخادمة : قولي انني لست هنا وادفعي له هذا ... ثم تلفت ناحيتي واستطرد : شحاذ ... قلت : طريقة مبتكرة، شحاذ ببطاقة زيارة، انه ولا شك فنان . قال : لا ... صحافي . وشفع التعريف بنعوت مقتضبة موجزة انتقل بعدها الى الترحيب بي، انا، صاحب المهنة الشريفة، انا المحامي .

عرفت صديقاً عزيزاً اصدر في يوم ما أكبر جريدة في هذا البلد فانفق عليها من ماله رأسمالا كبيراً . وقد ازدهرت صحيفته واشتهرت في لبنان وجميع الاقطار العربية حتى اصبحت مثلا . ولكنه لاسباب قرر اقفال الجريدة ثم طلق الصحافة طلاقاً ابديا . جلست اليه ذات يوم اعاتبه على هجره الصحافة واسأله الاسباب فتبسم بالم وقال : أقفلت جريدتي الى الابد معتنقاً نظرية الشاعر الاكبر الاستاذ خليل مطران . قلت : وما هي نظريته هذه ؟ قال : اصدر الاستاذ مطران جريدة ثم اقفلها فلما سئل عن السبب اجاب ان كل صاحب جريدة في الشرق العربي، يحمل نفسه مشقة الجهاد طوال السنة ويوزع على المشتركين يومياً نسخ صحيفة يبذل ماله ودماء قلبه وعصارة فكره في سبيل تحريرها فاذا ارسل جابي الاشتراكات الى اي مشترك عاد اليه بالاهانات والشتائم .. واحياناً ببدل الاشتراك الزهيد .

قال صديقي : كنت احسب الاستاذ مطران مغالياً فلما خبرت الصحافة سنوات رأيت ان نظريته هي الحقيقة بعينها .

منذ اعوام كنت عرفت خلالها بالانتساب الى الصحافة دون غيرها، عرض لي ان ازور الجامعة مدرستي القديمة، فالتقيت صدفة باحد اساتذتي فاسرعت اليه مسلماً وصافحني هو بحرارة ثم ابتدرني قائلًا : ما تزال في الصحافة ؟ قلت : بلى . قال : اما حان لك ان تختار عملًا شريفاً او مهنة محترمة ! ..

قلت : ما تزال في الجامعة ؟ قال : بلى . قلت : اما حان لك ان تتقاعد ! .

يعرف كل منكم الشيء الكثير من امثال ما رويت وقد يكون بينكم من شهد او اشترك في احدى هذه الروايات . وليس الذنب ذنب الصحافة ولا هو ذنب الناس، فهي حالة شاذة اشتركت في تكوينها عناصر مختلفة كانت في ذلك الحين اسس حياتنا السياسية والادبية والاقتصادية، والعناصر الاهم في

تكوين اية امة .

كل صحفي يحمل السلم بالعرض .. ولكن لاليزعج المارة ويعرقل حركة السير بل لغاية اسمى وهدف اعلى : لينظف الشارع من المخلوقات الرديئة التي تحاول الوقوف في وجه عربة التقدم والعمران . هذه جمل رمزية ولا شك ، لكنها حقائق راهنة تلتصق بالعمليات وتلاحقها . فالصحفي مهما كان لونه ووضعه قد يسكت عن عمل لايعتقده صالحاً كل الصلاح ولكنه لا يدعو له ، واذا مرت بالصحفي ظروف اسكتته وهي حوادث نادرة بالنسبة ، فهو في كل يوم يقرع العبد ويدل على اماكن الفساد في الدولة ويدافع عن حقوق المجتمع من غير ان يكلف ، لانه يشعر من تلقاء نفسه بانه محام عام بمجرد احترافه الصحافة . فاذا اخطأ الحاكم انتقده واذا استمر في الخطأ هاجمه وقسى الى ان يرجع الى الصواب . هذا طبعاً في بلد يعتنق حرية القول والكتابة والا فان الحاكم يستمر ويسكت الصحفي مرغماً . وللصحفي رهبة خاصة تلاحق الحاكم او القيم على الشؤون العامة فهي له مثل ضمير الرجل الواقف على ابواب الاجرام . وكم من الحكام من لا يجسر على انفاذ عمل فيه ضرر عام خشية اقلام الصحفيين . وكم بينهم من يرده قلم جريء الى طريق الحق فيصدق تشريعاً او يرفضه مخافة ذلك القلم الذي يحرك الشعور ويخلق التيار وما يزال به حتى يدفعه في مجاري تجرف الحاكم والتشريع معاً .

والصحفي يصف طبيعة الاشياء سابراً غورها فاذا نصبت للامة مكيدة مجلببة بثوب مقبول لائق نفذت عينه الى الحقيقة فعمل على ابرازها بثوبها الصحيح ودل امته على الشرك المنصوب لها فهداها سواء السبيل . وكم يتألم الصحفي عند ما يلاحظ ان امته ناقصة التكوين تبحث في ظلمة النقص عن شعاع تهتدي به ، فتمد اناملها تتلمس هدفها الاعلى الذي تعيش له وتسعى اليه فيلهب نفسه رغبة في تبديد الظلمة ويذيب عصارة دماغه ليحولها الى اشعاع ينير طريق الامة السائرة الى الهدف . واذا وجد ان الهدف لا يتفق مع ميول امته ورغباتها ومصلحتها وانه يتعارض مع تقاليدها وعاداتها ، اذا وجد ان الهدف مصطنع لها وانها على ضعفها ووهنها فقدت ارادتها عمل على تحريك حيويتها الكامنة وصور بقلمه صفحات تاريخها وسكب نفسه في روحها . فاذا لم يوفق في قصده وكانت اعصاب امته تعبة منهوكة او كانت امته بلغت في ضعفها درجة تكفيها الادوية الروحية وحدها ، تحول عن تقوية امته الى مهاجمة ما اصطنعوه لها وقذف بنفسه بلا هوادة ، حتى اذا تكسرت اضلاعه او تحطم رأسه ام اذا نزفت دماء قلبه اغمض عينيه متناسياً المه وشبابه غارقاً في جنة من لذة القيام بالواجب . واذا لم يكن لامته من هدف على الاطلاق وكانت عرضة للعواطف والاهواء لا تعرف اين الاستقرار وماذا يعد لها استعرض الامم الراقية في العالم منتقياً هدف الامة الارقى والاقوى ثم عاد الى امته يصارع في سبيل اكمال تكوينها فاما ان يصبح لها هدف او ان يسقط هو صريعاً .

وتشترك في تكوين الصحافة والصحفي عوامل متعددة ، فلا يمكن ان تمد الامة يدها ساعة تشاء وانى تشاء لتتناول اول بشري تقع عليه وتقول : كن صحفياً فيكون . فهناك الاستعداد الثقافي والمستوى والعلمي والشعور بالمسؤوليات والتهيؤ لتأدية الرسالة المنبثقة من المبادىء القومية القوية ، وحاجة البيئة ، وهناك عنصر الاحساس والتحسس : الاحساس بالدور الملقى على عاتقه وما يتضمنه من تضحيات والتحسس بما وراء غيوم الحاضر المعلوم والتغلغل في اجواء المقبل المجهول فاذا كانت الامة تحس وجودها كامة ، وتعرف ماذا تريد ، ترفقت واوجدت صحيفة وصار لها صحفي حقيقي والا فانها موجدة جريدة تختلف عن اي عامل من عوامل الهدم الاخرى فيضاف معول جديد وقوي الى معاول التدمير ، ويظهر صحفي مثله مثل بائع متجول عادي يبيع الكلام والكتابة ويساوم على قلمه مساومة البائع الصغير على متر الخام او كيلو البندروه .

والصحافة ترافق الامة في النشوء والتطور فتعاونها وتهديها والامة ترافق نشوء الصحافة وتطورها فتوحي اليها وتساندها ، فيعيشا متساندين متعاونين يكمل واحدهما رسالة الثاني . ولنا في الصحافة الانكليزية التي تعتبر ارقى صحافة العالم مثل حي . فلا تزعم بريطانيا انها خلقت صحافتها ولا تدعي الصحف الانكليزية انها اوجدت بريطانيا ، فقد انبثقت الصحافة من حيوية الديموقراطية البريطانية ثم اخذت ترافق ارتقاء ماانبثقت منه ، فاذا كبت مدت الامة يدها اليها واذا اعوج شيء في الدولة البريطانية رأت الصحافة فيه نتوءاً قبيحاً في حياة الامة عملت على ازالته بما اوتيت من الوسائل . فتعاونت المؤسستان تعاوناً صحيحاً مستمراً انتج امة من اقوى الامم وارقاها وصحافة من اقوى الصحافة وارقاها .

في بلادنا ظاهرة ممتازة هي ظاهرة التحفز للوثوب ، تمهد الصحافة سبيل الوثبة المقبلة ، امل الوصول الى عتبة الحياة الوطنية السليمة ، في بناء الامة المشيد .

**حنا غصن**

# تفاهم

◆

مرّتْ ضحى تتهادى　　في دربها ومرَرْتُ

ولم تكن قد رأتني　　من قبل ذا أو رأيتُ

تقابلتْ نظرتانا　　فاثبتتْ ، وثبتّ

واطرقتْ ، ثم سارت　　لما تريد وسرتُ

يا نظرةً كشفتْ لي　　عن سرّها ، وكشفتُ

كأنها قرأتْ ما　　أضمرْتُهُ وقرأتُ

كأنما هي قالت　　ـ في صمتها ـ واجبت

قالت : فهمتُ . وانت ؟　　فقلتُ : ايضاً فهمتُ

تفاهمٌ في صموتٍ　　وابلغُ القولِ صمتُ

*

... وكان بُعْدٌ ، فلما　　عاد الزمانُ وعدتُ

كان اللقاء ، وكان الشيء الذي قد حزرتُ

وصفي قرنفلي ــ حمص

# في مفرق الطريق

ننقل هذا المقال عن مجلة « الصباح » الدمشقية ، وهو رسالة كان منشيء « الاديب » قد وجهها الى صديق له ، على اثر زواجه ، فعثرت عليها مجلة « الصباح » بين اوراق هـذا الصديق ، وآثرت ان تجعل من هـذا الاثر الخاص اثراً عاماً ، فلما رأى صاحب الرسالة ان سرها قد ذاع أراد أن يزيده ذيوعاً . . .

●

**اخي** لم أشأ ان أكتب قبل الآن وأنا بعد في غفوة الاغماء من تأثير الحدث الجديد ، الذي قلب حياتي رأساً على عقب . أما وقد بدأ الصحو يدب بعض الشيء الي فتجدني ابادر بالكتابة اليك عن بعض هذا الحدث الجديد .

رأيت كثيراً ، و « عشت » كثيراً ، وانغمست في صميم الحياة فخبرتها على أشكالهـا وألوانها المتعددة ، وتذوقت حلوها ، وذقت مرها ، فاكتفيت .

وكنت قبل الاكتفاء في ضجر ، كثير الملل ، أركض وأسعى دون هدف ، أبحث عن شيء لا أعرفه . فكان يضنيني البحث والتنقيب ، فأبيت على نشوة الامل في الغد ، دون انتاج او استقرار . حتى اذا كان الغد عدت الى حياتي العادية ، حياة صاخبة تارة وهادئة اخرى ، كثيرة المجون وكثيرة الجد ، بطيئة سريعة ، متناقضة بين ساعة وساعة ، يغلب فيها الاستهلاك النفساني أي استنزاف القوى الروحية ، فكنت أشعر بان نفسي تشح ، ويصيب تفكيري شيء كأنه الطمس يغمره . فاذا كان الجزر ، لحت بعض اضواء لا تلبث ان تخبو . .

وكنت أفهم علتي على الرغم من استكانتي واستسلامي الى ما انا فيه !

ثم أصبحت وانا في شخصيتين : واحدة لنفسي وأخرى للناس . فأعطيت للناس شخصية تتقاذفها الاقدار وتسير على غير هدى ، في كثير من الزهو ، واحتفظت بشخصية خاصة تختبي في النور وتظهر في الظلمة لتنيرها ، ألجأ اليها في وحدتي وأنام على كتفيها لاحلم بكل ربيع أخضر .

غموض وابهام وايام تمضي ووقت يضيع ، وزهد بالحياة وكل ما فيهـا « وليد الشخصية الثانية » يغشى نفسي ، فيفسد علي مستقبلي ولا يجعلني اقيم حساباً لامر مهما عظم .

واخيراً فكرت في حالتي قليلاً ، وانا على ابواب الثلاثين وكان علي تقرير المصير ، فاما زدت الشيء اشياء وضربت الصخب بالصخب ، واما محوت كل شيء وغيرت النهج الى طريق جديد لعل فيه هدفاً وسواء سبيل .

قلت ان الحياة اكسبتني من تجاربها مقداراً . فلا تستغرب سرعة التقرير ولا كيف اخترت « كامي » وانا لا اعرفها . قل ان للقدر نصيباً في حياتنا يفعل مـا يشاء ، يهدم فيما نحن نبني ويبني حين يكون المعول في اليد .

شعوري الجديد غريب كحياتي الغريبة الاطوار فانا لا آسف على ما مر واعتقد بأني تذوقت اشياء موجودة لو لم اكن تذوقتها لكانت تنقصني الآن . ولم آسف على ما أقدمت عليه لاني اشعر براحة الاطمئنان والاستقرار وان لي في الحياة هدفاً . . . وقد استطيع التأكيد فاقول سوف اعمل ليومي وغدي ، ولجسدي وعقلي ، وللناس ولنفسي في كثير من الاتزان وعلى ضوء الهدف ونور المرمى وصبوة الغاية .

زوجتي مثلي وكانها عملت لان تكون لي وصنعت لان اكون لها .

فعسى ان تجيء الايام محققة لآمال اليوم فاردد لك في الغد ما اقوله الساعة !

١٥ آب ١٩٣٧

**البير اديب**

# مكتبة الاديب

## مختارات دءغول «١»

اخرجت مكتبة « فرنسا الشرق » في بيروت كتاباً جديداً للسيد جان غولميه « Jean Gaulmier » يشتمل على مختارات بليغة من ادب الجنرال دءغول وطألها الجامع بمقدمة من النثر الحلال ألم فيها ببعض المزايا التي اتصف بها زعيم فرنسا المحاربة من الوجهتين الانسانية والادبية . فالجنرال دءغول الذي عرفه العالم في اشد الكوارث التي تألبت على فرنسا مثالا حياً لذلك الجندي الفرنسي الذي لا يعرف الا واجباً واحداً هو التفاني في حب وطنه والدفاع عن تراث آبائه واجداده ليس جندياً فحسب بل أديب من الطراز الاول جمع الى بصيرة الفيلسوف عاطفة الشاعر وسكب احسن افكاره في احسن قوالب البيان .

وقد بحث السيد غولميه في مقدمته الفكرة الانسانية التي صدر عنها الجنرال دءغول في كل ما خطه قلمه سواء في الكتب التي اصدرها اوفي الفصول التي عقدها في الصحف ، وجال جولة واقية على اختصارها حول الفلسفة العسكرية التي ابدعها وحاول بدون جدوى ان يتزل اقطاب الجندية الفرنسية ورجال البرلمان على الاعتراف بها واعتناقها ثم اثبت الاختبار فيما بعد انه هو المصيب وانهم هم المخطئون . قال : « انه لمن الامور الفاجعة ان يرى هذا الرجل الذي اهتدى في قلبه وفي ذكائه الى السر الذي يتوقف عليه خلاص فرنسا ومنه خلاص اوربا يصطدم في كل مكان بدعوى هؤلاء ولا مبالاة اولئك . فروح من هذا المعدن تنعزل في زمن يسوده انحطاط الذكاء والعقل ، ولكن هذه الروح لا تلبث في اوقات الشدة وحين تخور قوى الجميع وتتلاشى ان تجد نفسها هي وحدها في مستوى الظروف واحداث الزمان . »

ثم يتكلم السيد غولميه عن ميزة انشاء دءغول هذا الانشاء الذي « لا تستنشق فيه رائحة الحبر مع انه لكاتب كبير » فيقول ان ادب دءغول يقوم على هذا الاتحاد التام بين الفكر والتعبير ، وهو سمة الاستقامة الادبية، اي سمة النفوذ الحقيقي . فالتأليف والاتزان والاحكام هي في البينات كما هي في الجمل . انشاء بسيط قوي لا تكليف فيه ولا اتباع، دائم الاتسام باستخدام الكلمة الخاصة بالمعنى . انشاء مسلكي اكثر منه انشاء مصور ويبلغ مع هذا حد التأثير في النفس لما فيه من قوة الحياة .

وسنفرد لهذه المختارات بحثاً وافياً في الجزء المقبل من «الاديب»

## حديث الاذاعة

اصدر القسم العربي في دار الاذاعة الفلسطينية الجليلة كتاباً في نحو من ثلاثمائة صفحة يحتوي على طائفة بليغة من متخير ما اذاعه منها رجال العلم والادب في مختلف الاقطار العربية . ولا نزاع في ان القسم العربي في دار الاذاعة الفلسطينية يساهم مساهمة مجدية في تنشيط الحركة الفكرية في هذه البقعة الطيبة من الشرق . ففي كل سانحة من الدهر يدعو اعلام الفكر من العرب الى اسماع الامة العربية اصواتهم في مختلف مناحي العلم والادب وفي شتى منازع التفكير احياء للتراث العربي القديم وبثاً للجديد الطيب من مخزون العقول في هذا الملم العصيب الذي تضيق فيه احجام الصحف عن استيعاب ما تضطرب به العقول وتنفرج عنه البصائر .

ويكفينا ان نذكر موضوعات هذا الكتاب ، وقد صدر منه الجزء الاول ، ليتضح لنا اي اثر خطير سيكون له في النهضة التوجيهية التي ستسفر حتماً عن هذه الحرب سواء في الميدان الادبي او الاجتماعي . والى القراء مواضيع الجزء الاول : الجيش في الاسلام والتربية والتعليم في العصور الاسلامية للاستاذ عبد اللطيف الطيباوي . ديار العرب والاسلام للاستاذ محمد عبد السلام البرغوثي . احاديث اسلامية في الاخلاق والآداب للاستاذ الشيخ سليمان الجعبري . الحرب بعد اثني عشر شهراً وستة اسابيع للاستاذ عباس العقاد . العرب وموقفهم من الحرب الحاضرة ، والعرب وموقفهم من النازية والفاشستية للاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني . الدولة الاموية للاستاذ عبد العزيز البشري . هل تمدنّا للاستاذ محمد كرد علي . ليل الانحطاط وفجر النهضة للاستاذ خليل تقي الدين . نظرة في مستقبل العرب للاستاذ نسيم يزبك . الى

1 — Jean Gaulmier : Anthologie du Général de Gaulle.

الام العربية للسيدة اسمى طوبي . التربية في الاسرة العربية للسيدة ماري صروف شحاده . شخصية المرأة للآنسة قدسية خورشيد . الى فتياتنا والطلبة للاستاذ خليل بيدس . ويحتوي الكتاب ايضاً على « تحية فلسطين » للاستاذ بشاره الخوري وعلى مقدمة بليغة للاستاذ عجاج نويهض، مراقب البرامج العربية والنشر في دار الاذاعة الفلسطينية .

فنوجه الى الحكومة الفلسطينية الجليلة ، والى دار الاذاعة الكريمة، جزيل الشكر على ما تبذلانه لنشر الثقافة العربية والادب العربي ، اخذ الله بيدها الى ما فيه خير الامة والعرب .

## روسيا السوفياتية

في العالم اليوم اتجاه قوي لمعرفة البلاد السوفياتية وانظمتها الاجتماعية معرفة صحيحة ، بعد ان تبين خلال هذه الحرب التي قامت الشعوب السوفياتية فيها بنصيب وافر من اعباء الجهاد، ان اكثر ما تناهى الينا عن ذلك القطر الكبير كان بعيداً عن الحقيقة . وقد رأت جريدة « صوت الشعب » وهي اول صحيفة عربية خصت شؤون الاتحاد السوفياتي بجانب من نشاطها المحمود في معالجة القضايا المحلية والعالمية — ان تروي ظمأ القراء العرب الى معرفة الاتحاد السوفياتي معرفة وافية ، فاصدرت كتاب «روسيا السوفياتية» الذي سد فراغاً كبيراً في المكتبة العربية . ففي هذا الكتاب مقدمة موجزة عن حوادث ١٩١٧ وما سبقها وتبعها من الاحداث الخطيرة في روسيا والبلاد التي كانت تابعة لها ثم انضمت اليها وألفت معها اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية . وفيه عرض واف للانظمة الاجتماعية التي يعيش في ظلها ١٨٠ مليون نفس يؤلفون ما يقرب من مائتي قومية مختلفة الالوان والاديان واللغات والاجناس . وقد لفت نظرنا في ابحاث الكتاب امران خطيران هما قضية المساواة وقضية القومية . فقد كان الشائع ان مواطني الاتحاد السوفياتي يعيشون في مساواة مطلقة لا تميز عالماً من جاهل ولا تفرق بين نشيط وخامل فاذا الامر على نقيض ذلك تماماً ، اذان الشريعة المتبعة هناك : من كل حسب كفاءته ولكل حسب عمله . وكان يظن ايضاً ان الجمهوريات المرتبطة بروسيا خاضعة لحكمها كما كانت في عهد الحكم القيصري، فاذا بهذه الجمهوريات مستقلة استقلالا تاماً ، واذا بنا نرى ان ستالين الذي كان مفوض الشعب للقوميات قد بذل جهوداً جبارة لاحياء القوميات المتأخرة وأصر على ان يضع في صلب الدستور السوفياتي مادة تخولها حق الانفصال عن الوطن الام متى شاءت . وثمة فصول مختلفة بينت بالارقام المدى الذي بلغه تطور الاتحاد السوفياتي في ميادين الثقافة والصناعة والزراعة وغير ذلك من الشؤون التي يرغب في معرفتها كل قارىء عربي ، فنشكر للزميلة « صوت الشعب » ما تبذله من جهد لتوسيع المدى الثقافي في البلاد العربية .



## مولفات جبران خليل جبران

| التآليف العربية المطبوعة | طبع | سنة |
| --- | --- | --- |
| نبذة في فن الموسيقى | المهاجر — نيويورك | ١٩٠٥ |
| عرائس المروج | » » | ١٩٠٧ |
| الارواح المتمردة | » » | ١٩٠٨ |
| الاجنحة المتكسرة | مرآة الغرب — نيويورك | ١٩١١ |
| دمعة وابتسامة | مطبعة الفنون — نيويورك | ١٩١٣ |
| المواكب | مرآة الغرب — نيويورك | ١٩١٨ |
| العواصف | الهلال — القاهرة | ١٩٢٢ |
| البدائع والطرائف | يوسف توما البستاني — القاهرة | ١٩٢٨ |
| كلمات | » » » | ١٩٢٩ |

| التآليف الانكليزية | | الناشر | سنة |
| --- | --- | --- | --- |
| المجنون | The Madman | Alfred A. Knopf N. Y. | ١٩١٩ |
| الرسوم العشرون | Twenty Drawings | » | ١٩١٩ |
| السابق | The Forerunner | » | ١٩٢١ |
| النبي | The Prophet | » | ١٩٢٤ |
| رمل وزبد | Sand and Foams | » | ١٩٢٦ |
| يسوع ابن الانسان | Jesus the son of Man | » | ١٩٢٨ |
| آلهة الارض | The Earth Gods | » | ١٩٣٠ |
| حديقة النبي | The Garden of the Prophet | » | ١٩٣٢ |
| الدرويش | The Wanderer | » | ١٩٣٢ |

# مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

واشنطن – ٢٦ تشرين اول – اعلنت وزارة الحربية الاميركية افساح المجال لتسجيل المتطوعين البالغين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة من عمرهم في خدمة وحدات المصفحات . القاهرة – فشلت جميع المحاولات التي قام بها جيش المحور لوقف زحف الجيش الثامن المستمر في قطاعات العلمين ، وقد اصيب المحور بخسائر جسيمة في العتاد والرجال ، حيفا – وصلت بعثة تركية عسكرية مؤلفة من كبار الضباط يرأسها الريرامبرال ارغوت اولان وقد حلوا ضيوفاً على رجال البحرية البريطانية ، ويتفقد رجال البعثة المؤسسات المختلفة في قاعدة حيفا . نيويورك – اشترك المواطنون الايطاليون في كاليفورنيا في شراء طائرة من نوع القلاع الطائرة سيتقدمون بها الى الجيش الاميركي .

موسكو – ٢٧ – بلغت خسائر الالمان في الاسبوعين الاخيرين في محاولاتهم الفاشلة للاستيلاء على ستالينغراد اكثر من ثلاثين الف رجل وخمسمائة دبابة وعدة مئات من الطائرات . فيشي – اعتقل الالمان ٣٠ رهينة جديدة على اثر الاعتداء على ثلاثة من الالمان . لندن – اعدم الالمان ثماني عشرة رهينة تشكوسلوفاكية .

واشنطن – ٢٨ – اعلن الكولونيل نوكس للمرة الاولى ان عدد ضباط الاسطول الامريكي ورجاله يبلغ الآن نحو مليون وثلاثمائة الف منهم مليون في قطعات الاسطول و ٢٠٠ الف في فيالق المشاة البحريين ومائة في فرق حرس السواحل .

انقره – ٢٩ – احتفلت الامة التركية بعيد الجمهورية التركية وهو العيد التاسع عشر لاعلان الجمهورية وذكرى انتخاب مصطفى كمال رئيساً لها .

مكسيكو – ٢٩ – اعلن استئناف العلاقات الديبلوماسية بين جمهورية المكسيك والاتحاد السوفياتي بعد ان انقطعت لمدة عشر سنوات . ديترويت – اعلن ان معامل فورد ستنشىء طائرات بدون محركات تستخدم في الهجوم والغزو، وفي كل طائرة منها ١٥ جندياً مجهزين تجهيزاً كاملاً .

موسكو – اول تشرين الثاني – اخذت بوادر الفتور تظهر مرة اخرى على هجمات الالمان في منطقة المصانع في ستالينغراد ، واخذت القوات السوفياتية توجه كرات هائلة وتمكنت من استرجاع عدد من المساكن والشوارع واحد المصانع .

ملبورن – ٢ – اعلن البلاغ الحربي الصادر من مقر قيادة الجنرال ماك ارثر ان القوات الاسترالية احتلت مدينة كوكودا بعد ان ظلت ثلاثة اشهر في ايدي الاعداء . موسكو – ٣ – الفت الحكومة السوفياتية لجنة للقيام بالتحري عن الفظائع التي ارتكبها الالمان ضد النساء والاطفال والاضرار التي الحقت بالكنائس والممتلكات الفردية والغرامات التي فرضت على الناس . الخرطوم – اذيع ان الحكومة السودانية تعتني اعتناء خاصاً بزراعة شجر البطاطا في اقاليم السودان الجنوبية . أديس أبابا – ٤ – افتتح الامبراطور هيلاسلاسي البرلمان الحبشي بحضور ستين عضوا من الاعيان علاوة على الامراء والرجال الديبلوماسيين والحاشية الملكية . لندن – اعدم الالمان في الشهر الماضي في ماريبور ( يوغوسلافيا ) ١٥٠ رهينة و٢٧ رهينة في منطقة كاوجي في سلوفينا انتقاماً لنسف قطار عسكري الماني . واشنطن – ٥ – بعث الرئيس روزفلت برسالة حيا فيها روسيا قائلا « للمرة الثانية في جيل واحد تجاهد امتانا في مقدمة مجموعة الامم المتكتلة ضد العدو المشترك . ان التضامن في المهمات العسكرية يجب أن يكون مقدمة للتضامن في مهمة خلق عالم في سلم وهي مهمة اعظم . لندن – ٦ – علقت المحافل الفرنسية في لندن اهمية كبرى على انجاز احتلال جميع انحاء جزيرة مدغسكر أذ أن ذلك يطلق يد الحلفاء في تنظيم وسائل الدفاع وايجاد موانىء صالحة فيها لايواء قطعات كبيرة من الاسطولين الامريكي والبريطاني وبذلك يبعد الخطر الذي يهدد مواصلات الحلفاء . لندن ٨ – اعلن اليوم نزول قوات اميركية عظيمة في افريقيا الشمالية ، بقيادة الجنرال الاميركي ايزنهاور ، ونزلت معها قوات بريطانية هامة . نيويورك ٩ – نشرت الصحف الامريكية انباء الترحيب الذي قوبل به الجيش الاميركي في افريقيا وصرح المستر وندل ويلكي بان انزال القوات الاميركية في شمالي افريقيا بمثابة فاتحة الهجوم على القارة الاوربية . لندن – وجه الجنرال ديغول بالراديو رسالة الى الشعب الفرنسي يقول فيها لقد حانت الفرصة فان حلفاءنا قد اختاروا الوقت المناسب فقد رد العدو على اعقابه في مصر وبدأت الحرب التحريرية في افريقيا الشمالية وحلفاؤنا الروس قد قضوا على جميع الجهود التي بذلها العدو وختم رسالته مطالباً القوات الفرنسية والقوات المحاربة في افريقيا ان تنضم الى الحلفاء لكي يتحقق النصر المبين العاجل . لندن ١٠ – قطعت العلاقات الديبلوماسية الفرنسية الاميركية رسمياً . تأكد ان الاميرال دارلان نائب الماريشال بيتان والقائد العام لقوات فيشي هو في ضيافة قائد اميركي في شمال افريقيا . سقط ميناء وهران بايدي الاميركيين ، اندلعت النيران في الدارعة الفرنسية « جان بار » في ميناء الدار البيضاء . اصبحت الموانىء التالية في ايدي الحلفاء ، الجزائر وهران صافي المهدية وليوتي . لندن ١١ – اعلن الاميرال دارلان باسم الماريشال بيتان وقف القتال في افريقيا الشمالية . لندن – اذاع الجنرال ديغول نداء للشعب الفرنسي يقول فيه ان النصر محقق فهلموا الى الانضمام والاشتراك فيه اغتنموا الفرصة الساعات القليلة ، ايها الجنود والبحارة والطيارون سارعوا بسفنكم واسلحتكم للانضمام الى الفرنسيين المحاربين ولا تتركوا اسلحتكم في يد العدو . واشنطن – صرح الرئيس روزفلت بان الولايات المتحدة سيكون لديها في ١٩٤٣ سبعة ملايين وسبعماية الف جندي . اوتاوا ١٢ – اعلن الراديو الكندي قطع العلاقات الديبلوماسية بين حكومة فيشي وحكومة كندا . مدريد – اعلنت حكومة الجنرال فرانكو انها ستحافظ على حيادها التام ازاء ما يحدث في افريقيا الشمالية . واشنطن – اعلن رسميا ان جميع السفن الفرنسية الموجودة في موانىء اميركية قد صودرت . برلين – وجه هتلر رسالة الى الماريشال بتان يعلمه فيها ان شروط الهدنة الفرنسية – الالمانية قد الغيت وانه امر جنوده بالزحف على فرنسا غير المحتلة وبعد ١٢ ساعة دخلت القوات الالمانية الى المراكز المعينة في فرنسا غير المحتلة . لندن ١٣ – وجه الاميرال دارلان نداء بالراديو دعا فيه وحدات الاسطول الفرنسي في طولون الى القيام بوحداتهم الى افريقيا الشمالية للانضمام للحلفاء . لندن – جاء في بلاغ مقر القيادة الحليفة في شمالي افريقيا ان القوات الفرنسية في تونس

أخذت تقاتل الى جانب الحلفاء ضد المحوريين . نيويورك ١٤ ــ صرح ستالين بان حملة افريقيا الشمالية عكست الموقف العسكري والسياسي وبات الموقف في اوربا بجانب الحلفاء . نيويورك ــ صرح رئيس اللجنة البحرية الامريكية بانه تم تسليم ما يقارب ستة ملايين طن من البواخر من مجموع ثمانية ملايين طن التي وضع المستر روزفلت برنامجها للعام ١٩٤٢ . استمبول ١٥ ــ عقد الرعايا الفرنسيون في تركيا اجتماعاً قرروا فيه الانضمام الى حركة الجنرال ديغول .

انقره ١٥ ــ يؤخذ من المصادر الديلوماسية في انقره ان الجنرال فرانكو رفض منح المانيا قواعد بحرية وجوية في اسبانيا . ستوكهولم ــ يسري قرار التعبئة في اسبانيا على ثمانية صفوف اي على المقترعين من عام ١٩١٨ الى عام ١٩٢٦ ، وحين تتم هذه التعبئة الجزئية يبلغ عدد المجندين نحو مليون جندي .

فيشي ١٦ – اعلن رسمياً ان الاميرال اوفان وزير البحرية ومسيو جيرا وزير المواصلات استقالا من وزارة فيشي . وعين الاميرال ابريال خلفاً للاميرال اوفان . القاهرة – جاء في خطاب العرش ما يلي : وقد خطت حكومتي خطوات واسعة في تسيير مهمة الصحافة فقررت لها امتيازات صحفية كثيرة كما قررت لنقابة الصحافة اعانة سنوية قدرها الفا جنيه .

استمبول – سجلت هزات ارضية عنيفة في منطقتي استمبول والقسم الغربي من الاناضول . لندن ١٩ – يؤخذ من الانباء الواردة من ايطاليا ان الشعب الايطالي هتف منادياً بالصلح عند ما وصل الملك عمانوئيل الى جنوى عقيب غارات الطيران البريطاني عليها وسمع الملك مثل هذه الهتافات في المدن الايطالية الاخرى التي زارها .

واشنطن ٢٠ – اعلن ان الحرب الحاضرة كلفت الولايات الاميركية المتحدة حتى الان ٦٠ الف مليون دولار اي ضعف مجموع تكاليف الحرب الماضية ، وتزداد نفقات الحرب بمعدل خمسة آلاف وخمسماية مليون كل شهر .

لندن ٢٠ – اعلن الراديو الالماني ان ٤٥ موظفاً من موظفي وزارة الخارجية الفرنسية عزلوا من وظائفهم لانهم كانوا يعملون لمصلحة بريطانيا واميركا .

انقره ٢١ – علم من مصدر موثوق به ان هتلر استنجد باليابان بعد ان ظهر بوضوح ان مركز المحور في افريقيا يدعو الى اليأس وقد طلب من اليابان القيام بعمل حربي ضد جنوب افريقيا ومدغسكر الا ان اليابان ردت بانها لا تملك السفن والبوارج الكافية للقيام بهذه الاعمال لمساعدة حليفتها . الرباط – تلقى عظمة سلطان مراكش رسالة من الرئيس روزفلت وقد جاء فيها « سرني ما بلغني عن العلاقات الطيبة بين شعبكم والادارة الفرنسية وجنود بلادي فبلاد المحور اليوم عدوة بلدينا وهي تريد فرض سيطرتها السياسية والاقتصادية على افريقيا ، واني لاشعر بسرور اذ اجد اننا متحدان في مجهود واحد مشترك يرمي الى تدمير المحور .

موسكو ٢٢ – تواصل قوات الجيش الاحمر تقدمها في ميادين ستالينغراد وقد تمكنت من قطع الخط الرئيسي لتموين المحور وهو يمتد بين ستالينغراد وخركوف . واصبح السوفيات يسيطرون على جميع المواصلات في نهر الفولغا رغم حلول فصل الثلوج .

القاهرة – احتل الجيش الثامن اجدابيا وانسحبت فلول جيش المحور المنهزمة الى ما وراء العقيلة .

لندن – صرح الماجور اتلي بقوله ليس فقط اننا نظفنا البحر المتوسط من المدوبل اننا ما قريب نذهب الى ابعد من ذلك اذا نبدأ الهجوم الكبير .

لندن ٢٤ – اعلن تعديل في اعضاء الوزارة البريطانية .

لندن – اجتمعت اللجنة الوطنية لفرنسا المحاربة برئاسة الجنرال ديغول وحضور الجنرال كاترو المفوض الوطني في الشرق الادنى لبحث الحوادث الجارية في افريقيا الشمالية والغربية .

نيويورك ٢٥ – قال الاميرال فيكدي وكيل اللجنة البحرية للولايات المتحدة في حديث ألقاه في نيويورك « ان اعظم تجريدة حشدت في العالم ستشن الزحف النهائي الكبير في قارة اوربا وهذا الزحف لا يقف الا في برلين ، وقال ايضاً حين يبدأ الزحف على طوكيو ستتأكدون ان انتاج مصانع الحلفاء لبناء السفن سيكون من العناصر الرئيسية لتحديد وقت غروب « الشمس المشرقة » . موسكو – اذاع الراديو الالماني ان الروسيين اخترقوا مراكز الالمان في جبهة رجيف غربي موسكو . فيشي – اعلن راديو فيشي ان القائد العام للقوات البحرية الفرنسية في جزر الهند الغربية وهو الاميرال روبرت ضم سفنه الى الاسطول الاميركي والبريطاني وذلك بدون استشارة حكومة فيشي .

لندن ٢٧ – اعلن هتلر مرة اخرى الاخلال بالوعود وحاول الاستيلاء على طولون فسارت المصفحات الالمانية نحو هذا الميناء الحصين وحلقت الطائرات المحورية فوق سمائه ، رامية صواريخ مضيئة والغاماً ممغنطة بينما قذفت طائرات المانية اخرى قنابل متفجرة على ادوات الدفاع في المرفأ ، وقد اطلق بحارة الاسطول الفرنسي النيران على المعتدين في سبيل كسب الوقت ثم دوت انفجارات هائلة وانتهى الامر بتدمير الاسطول الفرنسي المرابط في ميناء طولون وفي الساعة العاشرة من ذلك النهار لم تبق ولا وحدة على وجه المياه ، وقد استشهد اغلب القواد والبحارة مع سفنهم ويقدر عدد السفن التي انتحرت بخمسين قطعة حربية .

استنبول – ٢٨ – يستفاد من انباء وردت من صوفيا ان الالمان هددوا البلغار بتجريدهم من الاراضي التي احتلوها اذا هم لم يقدموا معونة كافية للقوات الالمانية في جبهات القتال بروسيا .

لندن ٢٩ ــ خطب الجنرال ديغول بعد اغراق اسطول طولون فقال بعد ان وصف عظم الكارثة : لقد سمعت فرنسا مدافع طولون وطلقات المقاومة اليائسة فسرت فيها كلها هزة الم وشفقة وحنق ، ان هذه المصيبة التي اضيفت الى الام فرنسا ستنهض بها وتجمع كلمتها في الارادة التامة كي تمحو بالنصر جميع نتائج الخيبة ، فليس هناك من سبيل سوى التغلب والانتصار ولن يكون هناك سواه .

موسكو ٣٠ ــ اعلن ان الجيش الاحمر طوق ٢٥٠ الف الماني وتقدم ٢٥٠ كيلو متراً في خطوط الدفاع الالمانية ، واستولى على عشرات المدن ومئات القرى اما الغنائم التي احصيت فبلغت في مدى عشرة ايام ٦٦ الف اسير و ٢٠٠٠ مدفع و٣٦٥٣ رشاشاً ١٧٤٩ دبابة ١٠٦٧٧ كميوناً ومركبة و١٠٧٠٠ حصان وغيرها من الذخائر والمؤن .